اعرف الحق تعرف أهله

(٤٠)

انا مدينة العلم وعلي بابُها

تأليف

آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين الله U أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه رب العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين ولعنة اللّٰه على أعدائهم أجمعين.

وبعد

فهذه رسالة وجيزة في إثبات حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) سنداً ودلالةً، وضعتها لمن لا يسعه مراجعة الكتب المفصّلة، إجابةً لطلب بعض الاخوة المؤمنين، نسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بأخواتها في سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله) وهو ولي التوفيق.

علي الحسيني الميلاني

الفصل الأوّل

في رواة الحديث

من الصّحابة والتابعين والعلماء

ودلائل ثبوته عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

إعلم إنّ حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) من الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو في كتاب الفضائل، تأليف أحمد بن حنبل: ثنا إبراهيم بن عبدالله، ثنا محمد بن عبدالله (عمر) الرومي، ثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها.[١]

وفي جامع الاصول لابن الأثير: علي: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها. أخرجه الترمذي.[٢]

وأخرجه الحاكم بإسناده عن ابن عباس وعن جابر بن عبدالله، ونصَّ على صحته.

وهنا فوائد:

الفائدة ١: رواة الحديث من الصحابة

لقد روى حديث مدينة العلم جماعة من مشاهير الصحابة، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهذه أسماؤهم:

[١] **أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام**

وقد أخرج حديثه جماعة من أعلام أهل السنة. منهم:

سويد بن سعيد الحدثاني، أحمد بن حنبل، عبّاد بن يعقوب الرواجني، أبو عيسى الترمذي، أبو بكر الباغندي الواسطي، محمد بن المظفر البغدادي، ابن شاذان الحربي، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ابن مردويه الاصبهاني، أبو نعيم.

[٢] **الإمام السبط الحسن المجتبى عليه السلام**

روى حديثه البلخي القندوزي الحنفي.

[٣] **الإمام السبط الحسين الشهيد عليه السلام**

روى حديثة جماعة، منهم:

---

(١) كذا في تذكرة خواصّ الأمّة: ٤٧ عن كتاب الفضائل.

(٢) جامع الاصول ٤٧٣/٩.

ابن مردويه الاصبهاني، ابن بشران الواسطي، ابن المغازلي الواسطي، أحمد بن محمد العاصمي، ابن النجار البغدادي، سليمان البلخي القندوزي.

[٤] **عبد الله بن العباس**

وقد روى حديثه:

يحيى بن معين، ابن فهم البغدادي، أبو العباس الأصم، ابن تميم القنطري، ابن جرير الطبري، أبو القاسم الطبراني، وآخرون.

[٥] **جابر بن عبد الله الأنصارى**

وقد روى حديثه:

عبدالرزاق الصنعاني، أبو بكر البزار، أبو القاسم الطبراني، القفال الشاشي، ابن السقاء الواسطي، الحاكم النيسابوري، وغيرهم.

[٦] **عبد الله بن مسعود**

وقد روى حديثه:

السيد علي الهمداني، الشيخ سليمان البلخي

[٧] **حذيفة بن اليمان**

وقد روى حديثه البلخي عن ابن المغازلي

[٨] **عبد الله بن عمر**

وقد روى حديثه جماعة، منهم:

الطبراني، الحاكم، ابن حجر المكي ...

[٩] **أنس بن مالك**

وقد روى حديثه:

السيد علي الهمداني، الشيخ سليمان البلخي

[١٠] **عمرو بن العاص**

وقد روى حديثه أبو المؤيد أخطب خوارزم المكي.

إلى غيرهم من الأصحاب، كما لا يخفى على أولي الألباب، ممّن تتبع شواهد هذا الباب.

الفائدة ٢: رواة الحديث من التابعين

[١] **الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام**

وقد أورد حديثه:

أبو غالب ابن بشران النحوي، الفقيه ابن المغازلي الواسطي، أحمد بن محمد العاصمي، المحب ابن النجار البغدادي، البلخي القندوزي.

[٢] **الإمام الباقر محمّد بن علي عليه السلام**

وقد أورد حديثه:

أبو غالب ابن بشران، الفقيه ابن المغازلي، أحمد بن محمد العاصمي، المحب ابن النجار البغدادي، الشيخ البلخي القندوزي.

[٣] **الأصبغ بن نباتة الحنظلي الكوفي**

وقد أورد حديثه:

ابن شاذان الحربي، جلال الدين السيوطي.

[٤] **جرير الضبي**

وقد أورد حديثه:

أبوبكر الباغندي الواسطي، محمد بن المظفر البغدادي، الفقيه ابن المغازلي الواسطي.

[٥] **الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي**

وقد أورد حديثه:

عباد بن يعقوب الرواجني، أبو بكر الخطيب البغدادي، أبو عبد الله الكنجي الشافعي.

[٦] **سعد بن طريف الحنظلي الكوفي**

وقد أورد حديثه:

ابن شاذان الحربي، جلال الدين السيوطي

[٧] **سعيد بن جبير الأسدي الكوفي**

وتظهر روايته للحديث من تصريح البلخي عن الحموئي.

[٨] **سلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي**

وقد أورد حديثه:

سويد بن سعيد، أحمد بن حنبل، سبط ابن الجوزي.

[٩] **سليمان بن مهران الكوفي المعروف بالأعمش**

وقد أورد حديثه:

يحيى بن معين، ابن فهم البغدادي، الأصم النيسابوري، ابن تميم القنطري، محمد بن جرير الطبري، أبو عبد الله الحاكم، وغيرهم.

[١٠] **عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي**

وقد أورد حديثه:

عباد بن يعقوب الرواجني، أبو بكر الخطيب البغدادي، الكنجي الشافعي.

[١١] عبد الله بن عثمان بن خثيم القاري المكي

وقد أورد حديثه:

عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر القفال الشاشي، ابن السقاء الواسطي، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، أبو الحسن العطّار.

[١٢] عبدالرحمن بن عثمان ـ ويقال بهمان ـ التيمي المدني

وقد أورد حديثه رواة حديث عبد الله بن عثمان، فلا نعيد.

[١٣] عبدالرحمن بن عسيلة المرادي أبو عبد الله الصنابحي

وقد أورد حديثه:

سويد بن سعيد، أحمد بن حنبل، سبط ابن الجوزي

[١٤] مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المكي

وقد أورد حديثه رواة حديث الأعمش، فلا نعيد.

الفائده ٣: في أسماء بعض رواة الحديث من الحفاظ والمحدثين

القرن الثالث

أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١). أبو زكريا يحيى بن معين المري (٢٣٣) أبو محمد سويد بن سعيد الهروي الحدثاني الأنباري (٢٤٠) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤٠) عبّاد بن يعقوب الرواجني الأسدي (٢٥٠) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩) أبو علي الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن فهم البغدادي (٢٨٥) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق المعروف بالبزار (٢٩٢)

القرن الرابع

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠) أبو بكر محمد بن محمد ابن سليمان الباغندي الواسطي البغدادي (٣١٢) أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي الأصم (٣٤٦) أبو الحسن محمد بن أحمد بن تميم الحناط القنطري البغدادي (٣٤٨) أبو بكر محمد بن عمر التميمي البغدادي المعروف بالجعابي (٣٥٥) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠) أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي المعروف بالقفال (٣٦٦) أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حيان الاصبهاني أبو الشيخ (٣٦٩) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان

المعروف بابن السقاء الواسطي (٣٧٣) أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي (٣٧٩) أبو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى البغدادي (٣٧٩) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين البغدادي (٣٨٥) أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن شاذان السكري الحربي (٣٨٦) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المعروف بابن بطة (٣٨٧)

القرن الخامس

أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم (٤٠٥) أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصبهاني (٤١٦) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (٤٣٠) أبو الحسن أحمد بن مظفر بن أحمد العطار الفقيه الشافعي (٤٤١)

أبو الحسن علي بن محمد البصري الشافعي المعروف بالماوردي (٤٥٠) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨) أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي المعروف بابن بشران (٤٦٢) أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (٤٦٣) أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣) أبو محمد الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني (٤٦٧) أبو الحسن علي بن محمد بن الطيب الجلابي الواسطي المعروف بابن المغازلي (٤٨٣) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩)

القرن السادس

أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي (٥٠٧) أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمداني الديلمي (٥٠٩) أحمد بن محمد العاصمي صاحب (زين الفتى ـ شرح سورة هل أتى) شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني (٥٥٨) أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي (٥٦٢) أبو المؤيد موفق بن أحمد المعروف بأخطب خوارزم المكي (٥٦٨) أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي المعروف بابن عساكر (٥٧١) أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي الأندلسي (٦٠٥) تقريباً.

القرن السابع

أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦) أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٦٣٠) محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي (٦٣٨) محبّ الدين محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار (٦٤٣) كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الشافعي (٦٥٢) شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي (٦٥٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (٦٥٨) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (٦٦٠) جلال الدين محمد المعروف بالمولوي الرومي (٦٧٢) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٧٦) محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري الشافعي المكي (٦٩٤) سعيد الدين محمد بن أحمد الفرغاني (٦٩٩)

القرن الثامن

أحمد بن منصور الكازروني المتوفى بعد (٧٠٧) حسين بن محمد المعروف بأمير حسيني الفوزي (٧١٨) أبو المجامع ابراهيم بن محمد الجويني الحموئي (٧٢٢) نظام الدين محمد بن أحمد البخاري المشهور عندهم بنظام الأولياء (٧٢٥) جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي (٧٤٢) محمد بن يوسف الزرندي المتوفى بعد (٧٥٠) صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي الدمشقي (٧٦١) السيد علي بن شهاب الدين الهمداني (٧٨٦) نور الدين جعفر بن سالار البدخشاني المعروف بأمير ملاّ خليفة الهمداني، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي (٧٩٤)

القرن التاسع

كمال الدين محمد بن عيسى الدميري (٨٠٨) محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي اللغوي (٨١٦) إمام الدين محمد الهجروي الإيجي الواسطي، شمس الدين محمد بن محمد الجزري (٨٣٣) زين الدين أبو بكر محمد بن محمد بن علي الخوافي (٨٣٨) شهاب الدين بن شمس الدين الزاولي الدولت آبادي (٨٤٩) السيد شهاب الدين أحمد

صاحب توضيح الدلائل، نور الدين علي بن محمد ابن الصباغ المالكي المكي (٨٥٥) عبدالرحمن بن محمد البسطامي (٨٥٨) شمس الدين محمد بن يحيى الجيلاني اللاهجي المتوفى بعد (٨٧٧)

القرن العاشر

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢) الحسين بن علي الكاشفي (٩١٠) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١) نور الدين علي بن عبد الله السمهودي (٩١١) فضل الله بن روزبهان الشيرازي، عز الدين عبد العزيز بن عمر ابن فهد الهاشمي المكي (٩٢٢) شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي (٩٢٣) جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني (٩٢٨) كمال الدين حسين بن معين الدين الميبدي، غياث الدين بن همام الدين المدعو بخواند أمير صاحب (حبيب السير) عبد الوهاب بن محمد رفيع الدين البخاري (٩٣٢) شمس الدين محمد بن يوسف الشامي الدمشقي الصالحي (٩٤٢) الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عرّاق الكناني (٩٦٣) أحمد بن محمد بن علي حجر الهيتمي المكي (٩٧٤) علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي (٩٧٥) إبراهيم بن عبد الله الوصابي اليمني الشافعي، محمد بن طاهر الفتني الهندي (٩٨٦) عباس بن معين الدين الجرجاني الشهير بميرزا مخدوم (٩٨٨) كمال الدين بن فخر الدين الجهرمي، شيخ بن عبد الله العيدروس اليمني (٩٩٠) جمال الدين عطاء الله بن فضل الله المحدّث الشيرازي (١٠٠٠) أبو العصمة محمد معصوم بابا السمرقندي.

القرن الحادي عشر

علي بن سلطان الهروي المعروف بالقاري (١٠١٤) محمد عبد الرءوف بن تاج العرفين المناوي (١٠٣١) الملا يعقوب البنباني اللاهوري، أبو العباس أحمد بن محمد المقري الأندلسي (١٠٤١) أحمد ابن الفضل بن محمد بن باكثير المكي الشافعي (١٠٤٧) محمد بن محمد بن علي الشيخاني القادري، عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي البخاري (١٠٥٢) السيد محمد بن السيد جلال الدين ماه عالم البخاري شيخ بن علي بن محمد الخفري (١٠٦٣) علي بن أحمد بن محمد العزيزي (١٠٧٠) أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبر املسي القاهري الشافعي (١٠٨٢) تاج الدين السنبهلي النقشبندي.

القرن الثاني عشر

إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني الشافعي (١١٠١) السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي (١١٠٣) إسماعيل بن سليمان الكردي البصري، محمد بن عبد الباقي الأزهري الزرقاني المالكي (١١٢٢) سالم ابن عبد الله بن سالم البصري الشافعي المتوفى بعد (١١٢١) الميرزا محمد بن معتمد خان البدخشاني، محمد صدر العالم، شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٧٦) محمد معين بن محمد أمين السندي، محمد بن سالم بن أحمد الشافعي المصري الشهير بالحفني (١١٨١) محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني (١١٨٢) الشيخ سليمان جمل، قمر الدين الحسيني الأورنقابادي (١١٩٣)

القرن الثالث عشر

شهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي الشافعي، الشيخ محمد ابن علي الصبان (١٢٠٥) محمد مبين بن محب الله السهالوي اللكهنوي (١٢٢٥) ثناء الله باني بتي (١٢٢٥) عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي الشيخ جواد ساباط بن إبراهيم الساباطي الحنفي، عمر بن أحمد الخربوتي، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠) محمد رشيد الدين خان تلميذ الدهلوي، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد العلي المحدث تلميذ الدهلوي، نور الدين بن إسماعيل السليماني، ولي الله بن حبيب الله السهالوي اللكهنوي (١٢٧٠) شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي الشهير بالآلوسي (١٢٧٠) سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي (١٢٩٣) سلامة الله البدايوني، حسن الزمان محمد بن قاسم التركماني التبريزي ثم الحيدرآبادي، علي بن سليمان الشاذلي، عبد الغني الغنيمي

الفائدة ٤: في ذكر من نصَّ على صحة الحديث

ولقد نصّ جماعة من أكابر علماء أهل السنة على صحة حديث مدينة العلم، ومنهم:

يحيى بن معين، ومحمد بن جرير الطبري، وقد اختار اتحاده مع حديث «أنا دارالحكمة»، والحاكم النيسابوري، محمد بن طلحة الشافعي، وسبط ابن الجوزي، ومحمد بن يوسف الكنجي في كفاية الطالب، وصلاح الدين العلائي، على ما ذكر السخاوي، وابن حجر المكي، وشمس الدين ابن الجزري في (أسنى المطالب)، وشمس الدين السخاوي في (المقاصد الحسنة)، وجلال الدين السيوطي في (جمع الجوامع)، وفضل الله ابن روزبهان الشيرازي في كتابه (الباطل)، وعلي المتقي الهندي، والسيد محمد البخاري، والميرزا محمد البدخشاني في (نزل الأبرار) الذي التزم فيه بالصحة، ومحمد صدر العالم في (معارج العلى)، ومحمد الأمير اليماني في (الروضة الندية)، وثناء الله باني بتي في (السيف المسلول)، والمولوي حسن الزمان.

الفائدة ٥: في ذكر من نص على حسن الحديث

وقد نصّ جماعة منهم على حسن هذا الحديث مطلقاً أو في بعض طرقه ـ وفيهم بعض القائلين بصحته، إما لأنه كان يقول بحسنه ثم ظهر له صحته كما صرّح به السيوطي في حق نفسه، وإما لأنه يرى في بعض طرقه الصحّة وفي بعضها الحسن كالكنجي ـ ومن هؤلاء:

الترمذي، على ما نسب إليه عبد الحق الدهلوي في (اللمعات) والكنجي حيث قال بالنسبة إلى حديث ابن عباس «هذا حديث حسن عال»، وصلاح الدين العلائي، والبدر الزركشي على ما نسب إليه المناوي، وحسن الزمان، والمجد الشيرازي في (نقد الصحيح)، وابن حجر العسقلاني في (فتاواه) وفي أجوبة الأحاديث التي تعقبها

السراج القزويني، والسخاوي بالنسبة إلى حديث ابن عباس في (المقاصد الحسنة) والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) وغيره، والسمهودي، حيث أورد تصحيح الحاكم وتحسين العلائي وابن حجر، ساكتاً على ذلك، فلا أقل من أنه يقول بحسنه، ومحمد بن يوسف الشامي الصالحي في (سبل الهدى والرشاد)، وأبو الحسن علي بن عرّاق في (تنزيه الشريعة)، وابن حجر المكي في (الصواعق) و(المنح المكية) و(تطهير الجنان) وغيرها ومحمد طاهر الفتني حيث نقل كلام العلائي وابن حجر في (تذكرة الموضوعات) وعلي القاري في (المرقاة) والمناوي في (فيض القدير)، ومحمد الحجازي الشعراني على

ما نقل عنه العزيزي، وعبد الحق الدهلوي في (اللمعات) وغيره، والعزيزي في (السراج المنير)، وعلي بن علي الشبر املسي في (تيسير المطالب السنية)، والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية)، والصبان في (إسعاف الراغبين)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة)، وحسن علي المحدّث في (تفريح الأحباب).

الفائدة ٦: في ذكر من أرسله ارسال المسلم

وقد أرسل حديث أنا مدينة العلم جماعة كبيرة من أكابر أهل السنة إرسال المسلم، منهم:

أبو الليث السمرقندي، أحمد بن محمد العاصمي، أبو المجد الغزنوي، أبو الحجاج البلوي، ابن عربي الأندلسي، ابن طلحة الشافعي، أبو عبد الله الكنجي الشافعي، العز ابن عبد السلام، محب الدين الطبري الشافعي، سعيد الدين الفرغاني، أمير حسيني الفوزي، نظام الأولياء الهندي، شمس الدين الزرندي، السيد علي الهمداني، كمال الدين الدميري، زين الدين الخوافي، شهاب الدين الدولت آبادي، شهاب الدين أحمد ابن الصباغ المالكي، عبدالرحمن البسطامي، شمس الدين اللاهجي، حسين بن علي الكاشفي، جلال الدين الدواني، الحسين الميبدي اليزدي، خواند أمير المؤرّخ، ابن حجر المكي، جمال الدين المحدّث الشيرازي، أبو العصمة السمرقندي، الشيخ علي القاري، عبد الرحمن الجشتي، شيخ بن علي الخفري، الشيخ إبراهيم الكردي، شاه ولي الله الدهلوي، الشيخ سليمان جمل، قمر الدين الحسيني، المولوي مبين اللكهنوي، المولوي ثناء الله، الشيخ جواد الساباطي، المولوي ولي اللكهنوي

فهل يستريب أحد في كون هذا الحديث من الأحاديث الثابتة؟

الفائدة ٧: في ذكر من وصف أميرالمؤمنين بباب مدينة العلم

ولقد وصف كبار أئمة أهل السنة سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام بـ «باب مدينة العلم» وما يماثله، أو وصفوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بـ «مدينة العلم». كلّ ذلك أخذاً بحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وهذا من أوضح البراهين على تصحيح هؤلاء لهذا الحديث الشريف. ومنهم:

أبو نعيم الاصبهاني، أبو سعد السمعاني، أبو المؤيد الخوارزمي، أبو عبد الله الكنجي، سعيد الدين الكازروني، شمس الدين الزرندي، السيد علي الهمداني، الميرزا محمد البدخشاني، الهروي الإيجي، شهاب الدين الدولت آبادي، شهاب الدين أحمد، شهاب الدين القسطلاني، جلال الدين الدواني، شمس الدين الصالحي الدمشقي، ابن حجر المكي، جمال الدين المحدث الشيرازي، الشيخ علي القاري، عبد الرءوف المناوي، عبد الحق الدهلوي، سيد محمد ماه العالم، عبد الرحمن الجشتي، الشيخ تاج الدين النقشبندي، الشيخ إبراهيم الكردي، الشيخ سالم البصري، السيد محمد البرزنجي، محمد معين السندي، محمد بن إسماعيل الأمير، شهاب الدين أحمد العجيلي، رشيد الدين الدهلوي، سلامة الله البدايوني، حسن الزمان التركماني، عبد الغني الغنيمي.

الفائدة ٨: في ذكر من نظم هذه المآثرة في أشعاره

ولقد نظم جماعة من كبار العلماء الأدباء هذه المنقبة في أشعار هم مثل:

أبي القاسم إسماعيل بن عباد المعروف الصّاحب، وأبي القاسم حسن بن إسحاق الطوسي المعروف بالفردوسي، وأبي المجد مجدود ابن آدم الحكيم السنائي، والموفق بن أحمد الخوارزمي المكي، وأفضل الدين إبراهيم بن علي الشهير بالخاقاني، وفريد الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالفريد العطار، وجلال الدين محمد بن محمد البلخي الرومي المعروف بالمولوي، ومحيي الدين يحيى بن شرف النووي، وشرف الدين مصلح بن عبد الله الشيرازي الشهير بالسعدي، وشمس الدين محمد بن أحمد الأندلسي الهواري المعروف بابن جابر، وفخر الدين عبد الرحمن بن مكانس القبطي المصري، وعز الدين عبد العزيز ابن عمر الهاشمي المكي المعروف بابن فهد، ومحمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، وشهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي.

الفائدة ٩: في شهرته وتواتره على ضوء كلمات أهل السنة

فظهر أن هذا الحديث الشريف من الأحاديث المشهورة بل المتواترة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويشهد بذلك أمور:

الأول:

تصريح سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) بأن هذا الحديث من الفضائل المشتهرة الثابتة، وقد نص القسطلاني على أن المشهور يلحق بالتواتر عند علماء الدراية.

الثاني:

تصريح الشيخ عبد الحق الدهلوي في (اللمعات) و(شرح المشكاة الفارسي) بشهرة هذا الحديث.

الثالث:

وصف الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الصنعاني إيّاه في (الروضة الندية) بالشهرة.

الرابع:

إعتراف المولوي عبدالعزيز الدهلوي بشهرته في جواب سؤال بعضهم عن ذلك.

الخامس:

تصريح المولوي حسن الزمان في (القول المستحسن) بشهرته.

السادس:

دعوى ابن حجر المكي في (الصواعق)[٣] تواتر حديث «مروا أبا بكر فليصل بالناس» بزعمه وروده عن ثمانية من الصحابة. فلو كان رواية هذا العدد مفيداً للتواتر، فإن حديث مدينة العلم ـ الذي رواه عشرة منهم ـ متواتر بالأولوية.

السابع:

(٣) الصواعق المحرقة: ١٣ قال: «واعلم أن هذا الحديث متواتر، فإنه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة».

دعوى ابن حزم في (المحلى) تواتر المنع عن بيع الماء، وهو غير منقول إلاّ عن أربعة من الصحابة، فإذا كان نقل الأربعة مفيداً للتواتر، فإنّ حديث مدينة العلم متواتر قطعي الصدور بالأولوية القطعية.

الثامن:

زعم ابن تيمية في (المنهاج) تواتر الحديث الموضوع «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» بدعوى وروده عن ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير، وقوله ما نصه: «وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث، فإنه قد أخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير».

فيكون حديث مدينة العلم متواتراً عند أهل العلم ـ بالأولوية القطعية ـ لأنه قد أخرج من وجوه متعددة من حديث عشرة من الأصحاب وهم: أمير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن والامام الحسين ـ عليهما السلام ـ وابن عباس وجابر وابن مسعود وحذيفة وعبد الله بن عمر وأنس وعمرو بن العاص.

التاسع:

دعوى الشيخ عبدالعزيز الدهلوي في الكلام على مطاعن عثمان تواتر الكلام المكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام «إنما مثلي ومثل عثمان كمثل أنوار ثلاثة» بمجرّد وروده في كتب الفريقين كما زعم، حيث قال: «وهذه القصة بلغت من الشهرة والتواتر حدا حتى ذكرت في كتب الفريقين، فلا مجال لإنكارها».

فإذا كان ورود هذا الكلام الموضوع في كتب الفريقين!! دليلا على تواتره، كان تواتر حديث مدينة العلم قطعيا، لأن من المتعذر إحصاء الكتب التي ورد فيها هذا الحديث عند الفريقين.

الفائدة ١٠: في زيادة توضيح لثبوت الحديث

ويزيد ثبوت حديث مدينة العلم وقطعيّة صدوره عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وضوحاً وجوه:

الأول:

إنه من حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قامت البراهين الواضحة والأدلة القويمة على عصمته عليه الصلاة والسلام، بل اعترف بعصمته الشاه ولي الله وعبدالعزيز الدهلوي، كما صرح ولده عبدالعزيز بصدقه عليه السلام بإجماع أهل السنة... فلا محيص من الاعتراف بقطعية صدوره.

الثاني:

إنه من حديث سيدنا الامام الحسن عليه السلام. ولا ريب في عصمته بالأدلة العامة والخاصة، فلا ريب في قطعية صدوره.

الثالث:

إنه من حديث سيدنا الامام الحسين عليه السلام. ولا ريب في عصمته كذلك، فالحديث قطعي الصدور.

الرابع:

أنه من حديث سيدنا الامام زين العابدين عليه السلام. ولا ريب في عصمته كذلك، فالحديث قطعي الصدور.

الخامس:

إنه من حديث سيدنا الامام الباقر عليه السلام. ولا ريب في عصمته كذلك، فالحديث قطعي الصدور.

السادس:

إنه من حديث سيدنا الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو لا ريب في عصمته، فالحديث قطعي الصدور.

السابع:

إنه من حديث سيدنا الامام موسى الكاظم عليه السلام، ولا ريب في عصمته كآبائه الطاهرين، فالحديث قطعي الصدور.

الثامن:

إنه من حديث سيدنا الامام الرضا عليه السلام وهو لا ريب في عصمته، فالحديث قطعي الصدور.

التاسع:

لقد جعل الشيخ عبدالعزيز الدهلوي في (التحفة) حديث «لا نورث...» ـ الموضوع ـ كالقرآن الكريم في إفادة اليقين، بزعم أنه من حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وإن حديث مدينة العلم من حديثه عليه الصلاة والسلام كما علمت، فهو كالقرآن الكريم في القطعية على ضوء كلام الدهلوي.

العاشر:

لقد جعل عبدالعزيز الدهلوي الحديث الموضوع المذكور مفيداً لليقين كالقرآن المبين لكونه ـ بزعمه ـ من حديث حذيفة.

وقد علمت أن حذيفة من رواة حديث مدينة العلم، فهذا الحديث يساوي آي القرآن العظيم في إفادة اليقين.

الحادي عشر:

لقد جعل الدهلوي المذكور الحديث الموضوع المذكور مفيداً لليقين، لأنه من حديث كلّ من الزبير وأبي الدرداء وأبي هريرة والعباس وعبد الرحمن بن عوف وسعد.

فحديث مدينة العلم كذلك، لأنه من حديث عشرة من الصحابة كما عرفت.

فظهر قطعية صدور حديث مدينة العلم على ضوء كلمات صاحب كتاب التحفة الاثنى عشرية.

الثاني عشر:

لقد ذكر الحافظ القاضي عياض ما نصه «... وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة... فهذا النوع كله مما يلحق بالقطعي من معجزاته...»[٤]

---

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٣٠٨ ـ ٣٠٩ بشرح القاري.

قلت: فكذلك حديث مدينة العلم، رواه الثقات والعدد الكثير من الأئمة عن العدد الكثير من الصحابة، فهو قطعي أيضاً.

الثالث عشر:

لقد قال القاضي عياض في كلامه السابق «ومنها ما رواه الكافة عن الكافة، متصلاً عمن حدّث بها من جملة الصحابة وأخبارهم، أن ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر، ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رووه كما رواه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق، إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب، وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم غير معروف لديهم أنكروا كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رووها من السنن والسير وحروف القرآن، وخطّأ بعضهم بعضاً ووهّمه في ذلك مما هو معلوم، فهذا النوع كلّه مما يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيّناه...»[٥]

هذا كلامه، وعلى هذا الأساس نقول: إن أكثر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام قطعي، ولا سيما حديث مدينة العلم لما سيجيء ـ في روايات الأعلام ـ من حديث جابر من أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال ذلك في غزوة الحديبية، ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة لجابر فيما حكاه في الباب.

بل يظهر من عبارة الزرندي إجماعهم على الاعتراف بذلك، فقد قال هي فضيلة «اعترف بها الأصحاب وابتهجوا، وسلكوا طريق الوفاق وانتهجوا» وقد نقل شهاب الدين أحمد هذا الكلام عنه في (توضيح الدلائل). فإذن كلّهم معترفون بهذه الفضيلة وناطقون بها، وليس هناك رغبة ولارهبة تمنعهم، بل كان الأمر ـ بالنسبة إلى فضائل الامام عليه السلام ـ بالعكس، فقد كانت دواعي الكتم والإخفاء في أكثرهم موجودة.

الرابع عشر:

قال القاضي بعد كلامه السابق: «وأيضاً، فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل، لا بدّ مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارية.

وأعلام نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الواردة من الطريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلاّ ظهوراً، ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلاّ قوة وقبولاً، وللطاعن عليها إلاّ حسرة وغليلا...»[٦]

أقول: وهذا البيان بحذافيره جار في باب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كما هو الواقع ـ وهو يكفي برهاناً على صحتها وقطعية صدورها عن النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الخامس عشر:

---

(٥) الشفا: ٣٠٩.

(٦) الشفا: ٣٠٩ بشرح القاري.

لقد اشتغل كبار علماء الفريقين ـ من الصدر الأول حتى الآن ـ بهذا الحديث وتناقلوه وحققوه وشرحوه مبتهجين ومتبركين به، ومن راجع كلماتهم حوله لم يبق له ريب في صحته وثبوته، ولم يصغ إلى أراجيف شذاذ من أهل الزيغ والعناد.

السادس عشر:

إن هذا الحديث مما اتفق عليه الفريقان، وذلك من أوضح الأدلة على قطعية صدوره.

الفصل الثاني

في وجوه دلالة الحديث على الإمامة

(١)

دلالته على الأعلمية

إنّ حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها يدلّ على أعلميّة أمير المؤمنين عليه السلام، والأعلمية تستلزم الأفضليّة، ولا ريب في استحقاق الأفضل الامامة وتعيّنه لها دون غيره.

أمّا دلالته على أعلميّته، فلأنّه باب مدينة العلم، إذ لو كان غيره أعلم منه لزم النقص في الباب، والنقص فيه يفضي إلى النقص في المدينة، وذلك ما لا يجترئ مسلم على تقوّله ولا مؤمن على تخيّله...

وأيضاً: صريح الحديث إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مدينة العلم، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام باب تلك المدينة، والعقل السليم يحكم بأنّه لا يكون باباً لمدينة العلم إلاّ من أحاط بجميع علومها... وهذا المعنى يستلزم أعلميّة أمير المؤمنين عليه السلام من كافّة الخلائق ـ فضلا عن سائر الأصحاب ـ لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أفضل وأكمل من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين بالإجماع...

ونحن نورد في المقام كلمات بعض العلماء الأعلام في تقرير أعلميّة مدينة العلم عليه وآله السلام، لئلاّ يرتاب أحد في حصول كمالاته وعلومه لباب المدينة عليه السلام:

قال أبو حامد الغزالي في (الرسالة اللدنيّة):

والطريق الثاني: التعليم الرّباني، وذلك على وجهتين: الأوّل: إلقاء الوحي، وهو أنّ النفس إذا كملت بذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والأمل، وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا وينقطع نسبها عن الاماني الفانية، وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها، وتتمسّك بجود مبدعها وتعتمد على إفادته وفيض نوره، والله تعالى ـ بحسن عنايته ـ يقبل على تلك النفس إقبالا كلّياً وينظر إليها نظراً إلهيّاً، ويتّخذ منها ألواحاً ومن النفس الكلّي قلماً، وينقش فيها جميع علومه، ويصير العقل الكلّي كالمعلّم والنفس القدسي كالمتعلّم، فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينقش فيها جميع الصّور من غير تعلّم وتفكّر، ومصداق هذا قول الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: (**وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**)الآية.

فعلم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأنّ حصوله من الله تعالى بلا واسطة ووسيلة، وبيان هذه الكلمة يوجد في قصة آدم والملائكة، فإنّهم تعلّموا طول عمرهم وحصلوا بفنون الطرق الكثيرة العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم لمّا جاء ما كان عالماً لأنّه ما تعلّم وما رأى معلّماً، فتفاخرت الملائكة عليه وتجبّروا وتكبّروا وقالوا: (**نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) ونعلم حقائق الأشياء، فرجع آدم إلى باب خالقه وأخرج قلبه وأقبل بالاستغاثة على الربّ تعالى (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُوني بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ**

صادِقِينَ) فصغر حالهم عند آدم وقلّ علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم، فغرقوا في العجز فقالوا: لا علم لنا، فقال تعالى: (**يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ**) فأنبئهم آدم عن مكنونات الغيب ومستترات الأمر.

فتقرّر الأمر عند العقلاء: أن العلم الغيبي المتولّد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة، وصار علم الوحي إرث الأنبياء وحق الرسل، حتى أغلق الله باب الوحي في عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيين، وكان أعلم وأفصح العرب والعجم، وكان يقول: أدّبني ربّي فأحسن تأديبي، وقال لقومه: أنا أعلمكم بالله وأخشاكم من الله، وإنّما كان علمه أشرف وأكمل وأقوى، لأنّه حصل عن التعليم الرباني وما اشتغل قط بالتعلّم والتعليم الانساني، فقال تعالى: (**عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوى**).

وقال القاضي عياض: فصل: ومن معجزاته الباهرة: ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم، وخصّه به من الاطّلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيّام الله فيهم، وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم، ومحاجّة كلّ أمّة من الكفرة، ومعارضة كلّ فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبّآت علومها، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره.

إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيّامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها، إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البيّنة، لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل.

إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكلّ شيء مستحسن مفضّل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلاّ من جهة الخذلان، بل كلّ جاحد له وكافر به من الجاهلية إذا سمع ما يدعو إليه صوّبه واستحسنه، دون طلب إقامة برهان عليه، ثمّ ما أحلّ لهم من الطّيبات وحرّم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا.

إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبادة والفرائض والحساب والنسب وغيرذلك من العلم، ممّا اتّخذ أهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة وأصولا في علمهم...

هذا، مع أنّه صلّى الله عليه وسلّم كان لا يكتب، ولكنّه أوتي علم كلّ شيء... ولاسبيل إلى جحد الملحد بشيء ممّا ذكرناه، ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه، إلاّ قولهم: أساطير الأوّلين، وإنّما يعلّمه بشر، فردّ الله قولهم بقوله: (**لِسانُ الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ...**)»[٧]

وقال الرازي في بيان الحجج على أفضليّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم من سائر الأنبياء عليهم السلام:

«الحجة السادسة عشرة: قال محمّد بن عيسى الحكيم الترمذي في تقرير هذا المعنى: إنّ كلّ أمير فإنّه مزيّته على قدر رعيّته، فالأمير الذي تكون إمارته على قرية تكون إمارته ومزيّته بقدر تلك القرية، ومن ملك الشرق والغرب احتاج إلى

---

(٧) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ـ بشرح القاري: ٤١٢.

أموال وذخائر أكثر من أموال تلك القرية، فكذلك كلّ رسول بعث إلى قومه فأعطي من كنوز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرّسالة، فالمرسل إلى قومه في طرف مخصوص من الأرض إنّما يعطى من هذه الكنوز الروحانيّة بقدر ذلك الموضع، والمرسل إلى كلّ أهل الشرق والغرب ـ إنسهم وجنّهم ـ لابدّ وأن يعطى من المعرفة بقدر ما يمكنه أن يقوم بسعيه بأمور أهل الشرق والغرب.

وإذا كان كذلك، كان نسبة نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم إلى نبوة سائر الأنبياء كنسبة كلّ المشارق والمغارب إلى ملك بعض البلاد المخصوصة، ولو كان كذلك لا جرم أعطي من كنوز الحكمة والعلم ما لم يعط أحد قبله، فلا جرم بلغ في العلم إلى الحدّ الذي لم يبلغه أحد من البشر قال تعالى في حقّه: (**فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى**) وفي الفصاحة إلى أن قال: أوتيت جوامع الكلم، وصار كتابه مهيمناً على الكتب وصارت امّته خير الأمم».[٨]

وقال ابن حجر المكي بشرح قول البوصيري:

«لك ذات العلوم من عالم *** الغيب ومنها لآدم الأسماء»

قال «... واحتاج الناظم إلى هذا التفصيل مع العلم به ممّا قبله، لأنّ آدم ميّزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علّمها له، وكانت سببا لأمر هم بالسجود والخضوع له، بعد استعلائهم عليه بذمّه ومدحهم أنفسهم بقولهم (**أَ تَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ**) إلخ، فربما يتوهم أنّ هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، إذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل، فردّ ذلك التوهّم ببيان أن آدم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له من العلوم إلاّ مجرّد العلم بأسمائها، وأن الحاصل لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم هو العلم بحقائقها ومسمّياتها، ولا ريب أن العلم بهذا أعلى وأجلّ من العلم بمجرّد أسمائها، لأنّها إنّما يؤتى بها لتبيين المسميّات، فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما.

ونظير ذلك: أن المقصود من خلق آدم صلّى الله عليه وسلّم إنّما هو خلق نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم من صلبه، فهو المقصود بطريق الذّات وآدم بطريق الوسيلة، ومن ثمّ قال بعض المحققين: إنّما سجد الملائكة لأجل نور محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي في جبينه...».[٩]

وقال الشيخ خالد الأزهري شارحاً قول البوصيري:

فاق النبيين في خلق وفي خلق *** ولم يدانوه في علم ولاكرم

وكلّهم من رسول الله ملتمس *** غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدّهم *** من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

قال الأزهري: «ومعنى الأبيات الثلاثة: إنّه صلّى الله عليه وسلّم علا جميع النبيين في الخلقة والسجيّة، ولم يقاربوه في العلم ولا في الكرم، كما سيأتي بيانه في قوله: يا أكرم الرسل، وفي قوله: ومن علومك علم اللوح والقلم. وكلّ النبيّين أخذ من علم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقدار غرفة من البحر أو مصّة من المطر الغزير، وكلّهم واقفون عند غايتهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم، وخصّ الشكلة بالحكم لزيادة التفهيم بها على النقطة».[١٠]

---

(٨) تفسير الرازي ٥٢٤/٦.

(٩) شرح الهمزيّة: ٢٤.

(١٠) شرح الأزهري على البردة: ٦٣.

فظهر أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أعلم من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة، وكلّهم ملتمس منه غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم، وهذه المراتب بعض مراتب علم «مدينة العلم» صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأمير المؤمنين علي عليه السلام أعلم منهم جميعاً، لأنّه «باب مدينة العلم»، ولأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّ على أنّ من أراد «المدينة» فليأتها من «بابها».

اعترافهم بدلالة الحديث على الأعلميّة

ولقد بلغت دلالة حديث مدينة العلم على أعلمية الإمام علي عليه السلام حدّاً من الظهور والوضوح حتّى صرّح بذلك جماعة من علماء أهل السنّة. ولنذكر كلمات بعضهم:

قال ابن روزبهان بجواب قول العلامة الحلي: «التاسع عشر ـ في مسند أحمد بن حنبل وصحيح مسلم قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: سلوني إلاّ علي بن أبي طالب، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها».

قال: «هذا يدل على وفور علمه واستحضاره أجوبة الوقائع، واطّلاعه على أشتات العلوم والمعارف، وكلّ هذه الأمور مسلّمة ولا دليل على النصّ، حيث أنه لا يجب أن يكون الأعلم خليفة، بل الأحفظ للحوزة والأصلح للأمّة، ولو لم يكن أبو بكر أصلح للامامة لما اختاروه كما مرّ.»

وقال المناوي بشرح حديث مدينة العلم ما نصه:

فإنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم المدينة الجامعة لمعالي الديانات كلّها، ولابدّ للمدينة من باب، فأخبر أنّ بابها هو علي كرم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى.

وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمؤلف والمعادي والمخالف: أخرج الكلاباذي أنّ رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال: سل علياً هو أعلم مني، فقال: أريد جوابك، قال: ويحك كرهت رجلا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغره بالعلم غراً. وكان أكابر الصحب يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عمّا أشكل عليه: جاءه رجل فسأله فقال: هاهنا علي فاسأله، فقال: أريد أن أسمع منك يا أمير المؤمنين، قال: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان. وصحّ عنه من طريق أنه كان يتعوّذ من قوم ليس هو فيهم، حتى أمسكه عنده ولم يولّه شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل.

وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من علي؟ قال: لا والله.

وقال الحرالي: قد علم الأوّلون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب حتى يتحقّق اليقين الذي لا يتغيّر بكشف الغطاء. إلى هنا كلامه».[11]

وفيه: «أنا دار الحكمة ـ وفي رواية: أنا مدينة الحكمة ـ وعلي بابها، أي علي ابن أبي طالب هو الباب الذي يدخل منه إلى الحكمة وناهيك بهذه المرتبة ما أسناها وهذه المنقبة ما أعلاها، ومن زعم أن المراد بقوله: وعلي بابها ـ أنه مرتفع من العلوّ وهو الارتفاع فقد تمحّل لغرضه الفاسد، لايجديه ولايسمنه ولايغنيه.

---

(١١) فيض القدير ١/٤٦ ـ ٤٧.

أخرج أبو نعيم عن ترجمان القرآن مرفوعاً: ما أنزل الله عزّ وجلّ يا أيّها الذين آمنوا إلاّ وعلي رأسها وأميرها

وأخرج عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وسلّم: فسئل عن علي كرّم الله وجهه فقال: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزء واحداً.

وعنه أيضاً: أنزل القرآن. على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن، وأمّا علي فعنده منه علم الظاهر والباطن.

وأخرج أيضاً: علي سيد المسلمين وإمام المتقين. وأخرج أيضاً: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. وأخرج أيضا: علي راية الهدى.

وأخرج أيضاً: يا عليّ إنّ الله أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعي، وأنزلت عليّ هذه الآية (**وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ**)

وأخرج أيضاً عن ابن عباس: كنّا نتحدّث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عهد إلى علي كرّم الله وجهه سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره.

والأخبار في هذا الباب لا تكاد تحصى».[١٢]

وقال ابن حجر المكي: «تنبيه: ممّا يدلّ على أنّ الله سبحانه اختص عليّاً من العلم بما تقصر عنه العبارات قوله صلّى الله عليه وسلّم: أقضاكم علي، وهو حديث صحيح لا نزاع فيه، وقوله: أنا دارالحكمة، في رواية أنا مدينة العلم ـ وعلي بابها».[١٣]

وقال ابن حجر أيضاً في الدفاع عن معاوية: «السادس: خروجه على علي كرّم الله وجهه ومحاربته له، مع أنّه الامام الحق بإجماع أهل الحل والعقد، والأفضل الأعدل الأعلم بنصّ الحديث الحسن ـ لكثرة طرقه ـ خلافا لمن زعم وضعه ولمن زعم صحته ولمن اطلق حسنه: أنا مدينة العلم وعلي بابها...[١٤]

وأما استلزام الأعلمية للأفضلية، فهو موضع وفاق بين العلماء والعقلاء. لأنّ العلم أشرف الفضائل وأعلى المناقب وأسنى المراتب، وإن من فاق الناس علماً كان أفضلهم وأشرفهم مقاماً وأعلاهم درجة... بل في الحديث أن تقدّم غيرالأعلم خيانة لله ورسوله:

ففي كتاب (كنز العمال) عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين. م د. عن ابن عباس».[١٥]

وإذا كان استعمال عامل هذا شأنه في أمر صغير خيانةً لله ورسوله وجميع المسلمين، فما ظنّك بالولاية العامة والامامة الكبرى والخلافة العظمى عن رسول الله؟!

ومن الأدلة على اقتضاء الأعلمية للامامة: الأشعار التي رويت عن واحد من الصحابة أنه قالها بعد السقيفة في مدح علي عليه السلام، وبيان أنّه صاحب الخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، دون أبي بكر بن أبي قحافة

---

(١٢) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ١ / ٤٦.

(١٣) شرح القصيدة الهمزية: ٣٠٣.

(١٤) تطهير الجنان ـ هامش الصواعق ـ : ٧٤.

(١٥) كنز العمال ٦ / ٤٠.

«ما كنت أحسب أنّ الأمر منحرف *** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم *** وأعلم الناس بالآثار والسّنن

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن *** جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما في جميع الناس كلّهم *** وليس في الناس ما فيه من الحسن

ما ذا الذي ردّكم عنه فنعرفه *** ها إن بيعتكم من أول الفتن»

وهذه الأبيات ذكرها الخوارزمي، ونسبها إلى «العباس بن عبدالمطلب».[١٦] وذكرها الأيوبي في (المختصر في أخبار البشر) إلاّ البيت الأخير منها مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، ناسباً إيّاها إلى «عتبة بن أبي لهب»[١٧]، وعزاها في (الموفقيات) إلى «بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلّب» وهذا نصّ كلامه:

«روى محمد بن إسحاق: إن أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرة،قال:

وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن علياً هو صاحبها بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال الفضل بن عباس: يا معشر قريش ـ وخصوصاً يا بني تيم ـ إنكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا وحقداً علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه، وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف *** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم *** وأعلم الناس بالقرآن والسّنن

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن *** جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به *** وليس في الناس ما فيه من الحسن

ما ذا الذي ردّهم عنه فنعلمه *** ها إنّ ذا غبننا من أعظم الغبن»

وعزاها الزين العراقي في (شرح الألفية) وفي (التقييد والإيضاح)، وكذا السخاوي في (فتح المغيث ـ شرح ألفية الحديث) في البحث حول أوّل من أسلم... إلى «خزيمة بن ثابت» وهذا نصّ كلام العراقي في كتابه الثاني:

«والصحيح أنّ عليّا أوّل ذكر أسلم، وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه كما سيأتي، وقال ابن إسحاق في السيرة: أول من آمن خديجة ثم علي بن أبي طالب، وكان أوّل ذكر آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن عشر سنين، ثم زيد بن حارثة فكان أول ذكر أسلم بعد علي، ثم أبو بكر فأظهر إسلامه إلى آخر كلامه. وما ذكرنا أن الصحيح من أن علياً أول ذكر أسلم هو قول أكثر الصحابة: أبي ذر، وسلمان الفارسي، وخباب بن الأرت، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبي أيوب الأنصاري، والمقداد بن الأسود، ويعلى بن مرة، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعفيف الكندي.

وأنشد أبو عبد الله المرزباني لخزيمة بن ثابت:

---

(١٦) المناقب للخوارزمي: ٨.

(١٧) المختصر في اخبار البشر ١ / ١٥٦.

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرف *** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتهم *** وأعلم الناس بالفرقان والسنن[١٨]

وعزاها بعضهم كالفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) والنيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن) والبيضاوي في (تفسيره) إلى «حسّان بن ثابت».[١٩]

وعزاها بعضهم كأبي جعفر الإسكافي في (نقض العثمانيّة) إلى «أبي سفيان بن حرب» حيث قال في بيان أنه عليه السلام أوّل من أسلم: «وأما الأشعار المرويّة فمعروفة كثيرة منتشرة، فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وإنّ وليّ الأمر بعد محمد *** علي وفي كلّ المواطن صاحبه

وصي الرسول حقاً وصنوه *** وأوّل من صلّى ومن لاذ جانبه

وقال خزيمة بن ثابت:

وصيّ رسول الله من دون أهله *** وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وأوّل من صلّى من الناس كلّهم *** سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف *** عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتهم *** وأعلم الناس بالأحكام والسنن

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدّد طلحة والزبير:

وإنّ علياً لكم مصحر *** يماثله الأسد الأسود

أما إنه أوّل العابدين *** بمكّة والله لا يعبد

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا علي وابن عم المصطفى *** أوّل من أجابه فيما روى

هو الامام لا يبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فإنّه *** وصي وفي الإسلام أول أول

وإن تخذلوه والحوادث جمّة *** فليس لكم عن أرضكم متحوّل

والأشعار كالأخبار، إذا امتنع في مجيء القبيلتين التواطي والاتفاق كان ورودهما حجة».

---

(١٨) فتح المغيث ٣ / ١٢٤.

(١٩) الرازي، النيسابوري، البيضاوي: تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة.

ومن غرائب الأمور: ما رووه عن عمر بن الخطاب أنّه كان يتمنّى وجود معاذ بن جبل حين موته ليستخلفه من بعده، وكان السبب في ذلك ما كان سمعه ـ على حدّ زعمه ـ من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقّ معاذ «إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم».

وممّن روى ذلك: ابن سعد (الطبقات) وأحمد (المسند) وابن قتيبة (الامامة والسياسة) وأبو نعيم (الحلية) وابن حجر العسقلاني (فتح الباري) والمتقي (كنز العمال)...

قال ابن سعد: «أخبرنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن أبي عروبة: سمعت شهر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته، فسألني عنه ربي لقلت: ربي! سمعت نبيّك يقول: إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم بقذفة حجر».

ومن هنا يعلم أن تقدّم الرجل في العلم كاف لاستخلافه، وأن عمر كان يرى جواز ذلك بالاستناد إلى تلك الجهة، وهذا من أقوى الشواهد على أفضليّة الأعلم وأولويّته بالخلافة والامامة، ومن ادعى خلاف هذا المعنى فقد سفّه عمر وجهّله...

هذا، مع عدم وجدان معاذ سائر الشروط المعتبرة في الامام، كالقرشيّة، وقد تقرّر أن «الأئمة من قريش...»

(٢)

دلالته على العصمة

وإنّ حديث مدينة العلم يدلّ على عصمة سيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسّلام، ولا ريب حينئذ في خلافته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بلا فصل...

وأمّا دلالته على العصمة، فقد أفصح عنها المحقّقون من أهل السّنة، قال إسماعيل بن سليمان الكردي في (جلاء النظر في دفع شبهات ابن حجر) بعد كلام له: «وإيّاك والاغترار بظواهر الآثار والأحوال من

التزيّي بزيّ آثار الفقر، كلبس المرقّعات، وحمل العكاز وغير ذلك، لأنها ليست نافعة لمن اتصف بها وهو ليس على شيء من المعرفة بالله، بل قد يكون المتصف بها صاحب انتقاد على المشايخ بنظره إلى نفسه، حيث أنه يرى حقيقة الأمر عنده دون غيره، وكثير من أهل هذا الشأن هلكوا في أودية الحيرة، لأنّهم اغتراهم الجهل المركب، فلا يدرون ولا يدرون أنّهم لا يدرون، كابن تيميّة وابن المقري والسّعد التفتازاني وابن حجر العسقلاني وغيرهم، فإنّ اعتراضهم على معاصريهم وعلى من سبق من الموتى دالّ على حصرهم طريق الحق عندهم لا غير.

وقد زاد ابن تيميّة بأشياء ومن جملتها: ما ذكره الفقيه ابن حجر الهيتمي ـ رحمه الله ـ في فتاواه الحديثية، عن بعض أجلاّء عصره أنّه سمعه يقول ـ وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية ـ : إنّ سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ له غلطات وأيّ غلطات، وإن سيّدنا علي ـ رضي الله عنه ـ أخطأ في أكثر من ثلاثمائة مكان!! فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ عمر وعلي رضي الله عنهما بزعمك؟ أما سمعت

قول النبي صلّى الله عليه وسلّم في حقّ سيدنا علي: أنا مدينة العلم وعلي بابها؟»...

فإنّ ظاهر عبارته واستدلاله بحديث مدينة العلم في الردّ على ذاك المتعصّب العنيد، دلالة هذا الحديث الشريف على عصمة الإمام عليه السلام...

وقال المولوي نظام الدين السهالوي الأنصاري في (الصبح الصادق) ما نصّه: «إفاضة ـ قال الشيخ ابن همام في فتح القدير ـ بعد ما أثبت عتق أمّ الولد وانعدام جواز بيعها عن عدّة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وبالأحاديث المرفوعة، واستنتج ثبوت الإجماع على بطلان البيع ـ ممّا يدلّ على ثبوت ذلك الإجماع ما أسنده عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال: سمعت علياً يقول: اجتمع رأيي ورأي عمر في أمّهات الأولاد أن لا يبعن، ثمّ رأيت بعد أن يبعن، فقلت له: فرأيك ورأي عمر في الجماعة أحبّ إليّ من رأيك وحدك في الفرقة، فضحك علي رضي الله تعالى عنه.

واعلم أن رجوع علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقتضي أنّه يرى اشتراط انقراض العصر في تقرّر الإجماع، والمرجّح خلافه، وليس يعجبني أنّ لأمير المؤمنين شأناً يبعد أتباعه أن يميلوا إلى دليل مرجوح ورأي مغسول ومذهب مرذول، فلو كان عدم الاشتراط أوضح لاكوضوح شمس النهار كيف يميل هو إليه، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، رواه الصحيحان، وقال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. رواه الترمذي، فالانقراض هو الحق.

لايقال: إن الخلفاء الثلاثة أيضا أبواب العلم، وقد حكم عمر بامتناع البيع. لأنّ غاية ما في الباب أنهما تعارضا، ثم المذهب أن أمير المؤمنين عمر أفضل، وهو لا يقتضي أن يكون الأفضليّة في العلم أيضاً، وقد ثبت أنه باب دار الحكمة، والحكمة حكمه».

ومفاد هذا الكلام دلالة حديث «أنا دار الحكمة وعلي بابها» على عصمة الإمام عليه السلام، وحينئذ تكون دلالة حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» ثابتة عليها بالأولويّة، وقد قال ابن طلحة الفقيه الشافعي: «لكنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم خصّ العلم بالمدينة والدار بالحكمة، لما كان العلم أوسع أنواعاً وأبسط فنوناً وأكثر شعباً وأغزر فائدة وأعمّ نفعاً من الحكمة، خصص الأعم بالأكبر والأخص بالأصغر.

(٣)

دلالته على أن الامام واسطة العلوم

ويدلّ حديث مدينة العلم على أنّ الأمّة يجب أن تستمدّ العلوم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بواسطة سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا شرف يتضاءل عنه كلّ شرف، وفضيلة ليس فوقها فضيلة، ومرتبة تثبت الأفضليّة فضلاً عن غيرها من الأدلّة... ومن هنا أيضا تثبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا كلام:

قال محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني في (الروضة الندية) بعد تصحيح الحديث: «نعم، ولعلّك تقول: كيف حقيقة هذا التركيب النبوي، أعني: قوله: أنا مدينة العلم وعلي بابها؟

فأقول: الكلام فيه استعارة تخييليّة ومكنيّة وترشيح، وذلك أنّه شبّه العلم بمحسوس من الأموال يحاز ويحرز، لأنّ بين العلم والمال تقارن في الأذهان، ولذلك يقرن بينهما كثيراً، مثل ما في كلام الوصي عليه السلام: العلم خير من المال، في كلامه المشهور الثابت لكميل بن زياد، وفي الحديث النبوي: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا،

فشبّه العلم بالمال بجامع النفاسة في كلّ منهما، والحرص على طلبهما والفخر بحيازتهما، ولذلك قال الشافعي رحمه الله:

قيمة المرء علمه عند ذي العلم *** وما في يديه عند الرّعاع

وإذا ما جمعت علماً ومالاً *** كنت عين الوجود بالإجماع

ولمّا شبّه العلم بالمال أثبت له ما هو من لوازم المال، وهو ما يجمعه ويحفظ فيه من المكان، وجعل المكان المدينة، لأنّه لم يرد نوعاً من العلم مشبّهاً بنوع من المال، بل علوم جمة واسعة من فنون مختلفة كالأموال المتعددة الأنواع التي لا يحفظها إلاّ مدينة، ثم طوى ذكر المشبّه به أعني المال كما هو شأن المكنيّة، ورمز إليه بلازمه وهو المدينة استعارة تخييلّية، ثم أثبت لها الباب ترشيحاً، مثل قولهم: أظفار المنيّة نشبت بفلان، ثم حمل ضمير قوله: مدينة العلم على ضمير نفسه صلّى الله عليه وسلّم فأخبر عنه بها، وأخبر عن علي عليه السلام بأنه بابها، فلمّا كان الباب للمدينة من شأنه أن يجلب منه إليها منافعها ويستخرج منه إلى غيرها مصالحها، كان فيه إيهام أنه صلّى الله عليه وسلّم يستمدّ من غيره بواسطة الباب الذي هو علي عليه السلام، دفع صلّى الله عليه وسلّم هذا الإيهام بقوله: «فمن أراد العلم فليأت من الباب»، إخباراً بأنّ هذا باب تستخرج منه العلوم وتستمد بواسطته، ليس له من شأن الباب إلاّ هذا، لاكسائر الأبواب في المدن، فإنّها للجلب إليها والإخراج عنها، فللّه درّ شأن الكلام النبوي ما أرفع شأنه وأشرفه وأعظم بنيانه، ويحتمل وجوهاً من التخريج أخر، إلاّ أنّ هذا أنفسها.

وإذا عرفت هذا عرفت أنّه قد خصّ الله الوصيّ عليه السلام بهذه الفضيلة العجيبة، ونوّه شأنه، إذ جعله باب أشرف ما في الكون وهو العلم، وأن منه يستمد ذلك من أراده، ثم إنه باب لأشرف العلوم وهي العلوم النبوية، ثم لأجمع خلق الله علماً وهو سيّد رسله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّ هذا الشرف يتضاءل عنه كلّ شرف، ويطأطئ رأسه تعظيماً له كلّ من سلف وخلف، وكما خصّه باب مدينة العلم فاض عنه منها ما يأتيك من دلائل ذلك قريباً».[٢٠]

(٤)

دلالته على أن الامام حافظ العلم

ويدلّ حديث مدينة العلم على أن أمير المؤمنين عليه السلام حافظ علوم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهذا المعنى بوحده دليل على أفضليّته عليه السلام من سائر الأصحاب، وهو المطلوب في هذا الباب.

ولقد صرّح بما ذكرنا الفقيه المحدّث الشيخ كمال الدين ابن طلحة الشافعي حيث قال في ذكر شواهد علم الامام وفضله:

---

(٢٠) الروضة الندية ـ شرح التحفة العلوية: ٢١٠ ـ ٢١١.

«ومن ذلك ما رواه الإمام الترمذي في صحيحه بسنده، وقد تقدّم ذكره في الاستشهاد في صفة أمير المؤمنين بالأنزع البطين: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ونقل الإمام أبومحمد الحسين بن مسعود القاضي البغوي في كتابه الموسوم بالمصابيح: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا دار الحكمة وعلي بابها، لكنّه صلّى الله عليه وسلّم خصّ العلم بالمدينة والدار بالحكمة، لما كان العلم أوسع أنواعاً وأبسط فنوناً وأكثر شعباً وأغزر فائدة وأعمّ نفعاً من الحكمة خصّص الأعم بالأكبر والأخص بالأصغر.

وفي قول النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك إشارة إلى كون علي عليه السلام نازلاً من العلم والحكمة منزلة الباب من المدينة والباب من الدار، لكون الباب حافظاً لما هو داخل المدينة وداخل الدار من تطرّق الضّياع واعتداء يد الذهاب عليه، وكان معنى الحديث أنّ علياً عليه السلام حافظ العلم والحكمة، فلا يتطرّق إليهما ضياع ولا يخشى عليها ذهاب، فوصف علياً بأنّه حافظ العلم والحكمة، ويكفى علياً عليه السلام علوّاً في مقام العلم والفضيلة أن جعله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حافظاً للعلم والحكمة».[٢١]

(٥)

دلالته على وجوب الرجوع اليه

ويدلّ حديث مدينة العلم على وجوب رجوع الأمّة إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ العلم منه، ولذا قال صلّى الله عليه وآله في ذيله «فمن أراد العلم فليأت الباب» وقال «كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلاّ من الباب».

وهذا أيضاً وجه آخر لإثبات المطلوب. والحمد لله.

قال العلاّمة ابن شهرآشوب عليه الرحمة بعد نقل الحديث من طرق المخالفين: «وهذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه كنّى عنه بالمدينة وأخبر أن الوصول إلى علمه من جهة علي خاصة، لأنه جعله كباب المدينة الذي لا يدخل إليها إلاّ منه. ثمّ أوجب ذلك الأمر به بقوله: «فليأت الباب». وفيه دليل على عصمته، لأنّ من ليس بمعصوم يصحّ منه وقوع القبيح، فإذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً فيؤدّى إلى أن يكون عليه السلام قد أمر بالقبيح وذلك لا يجوز. ويدلّ أيضاً: أنه أعلم الأمة، يؤيد ذلك ما قد علمناه من اختلافها ورجوع بعضها إلى بعض وغناه عليه السلام عنها، وأبان عليه السلام ولاية علي عليه السلام وإمامته وأنّه لا يصح أخذ العلم والحكمة في حياته وبعد وفاته إلاّ من قبله وروايته عنه كما قال الله تعالى: (**وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**)».[٢٢]

وقال القاضي التستري الشهيد نوّر الله مرقده في (إحقاق الحق):

«أقول: في الحديث إشارة إلى قوله تعالى: (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**) وفي كثير من روايات ابن المغازلي تصريح بذلك، ففي بعضها مسنداً إلى جابر رضي الله عنه: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي بعضها مسنداً إلى علي عليه السلام: يا علي أنا مدينة وأنت الباب، كذب من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلاّ من الباب. وروي عن

---

(٢١) مطالب السئول: ٦١ ـ ٦٢.

(٢٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٤/٢.

ابن عباس: أنا مدينة الجنة وعلي بابها فمن أراد الجنّة فليأتها من بابها. وعن ابن عباس أيضاً بطريق آخر: أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

وهذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كنّى عن نفسه الشريفة بمدينة العلم وبدار الحكمة، ثم أخبر أن الوصول إلى علمه وحكمته وإلى جنّة الله سبحانه من جهة علي خاصة، لأنّه جعله كباب مدينة العلم والحكمة والجنة التي لا يدخل إليها إلاّ منه، وكذّب عليه السلام من زعم أنّه يصل إلى المدينة لا من الباب، وتشير إليه الآية أيضاً كما ذكرناه.

وفيه دليل على عصمته وهو ظاهر، لأنّه عليه السلام أمر بالاقتداء به في العلوم على الإطلاق، فيجب أن يكون مأموناً عن الخطاء. ويدل على أنه إمام الأمة لأنه الباب لتلك العلوم، ويؤيد ذلك ما علم من اختلاف الأمة ورجوع بعض إلى بعض وغناؤه عليه السلام عنها. ويدل أيضاً على ولايته وإمامته عليه السلام، وأنّه لا يصح أخذ العلم والحكمة ودخول الجنة في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ من قبله، ورواية العلم والحكمة إلاّ عنه، لقوله تعالى: (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**) حيث كان عليه السلام هو الباب، ولله در القائل:

«مدينة علم وابن عمك بابها *** فمن غير ذاك الباب لم يؤت سورها»

ويدل أيضاً: على أنه من أخذ شيئاً من هذه العلوم والحكم التي احتوى عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من غيرجهة علي عليه السلام كان عاصياً كالسارق والمتسوّر، لأنّ السارق والمتسوّر إذا دخلا من غير الباب المأمور بها ووصلا إلى بغيتهما، كانا عاصيين،

وقوله عليه السلام: «فمن أراد العلم فليأت الباب» ليس المراد به التخيير، بل المراد به الإيجاب والتهديد كقوله عزّ وجلّ (**فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ**) والدليل على ذلك: أنّه ليس هاهنا نبي غير محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو مدينة العلم ودار الحكمة، فيكون العالم مخيّراً بين الأخذ من أحدهما دون الآخر، وفقد ذلك دليل على إيجابه وأنّه فرض لازم. والحمد لله».

قال: «ثمّ لا يخفى على أولي الألباب أن المراد بالباب في هذه الأخبار الكناية عن الحافظ للشيء الذي لا يشذّ عنه منه شيء ولا يخرج إلاّ منه ولا يدخل عليه إلاّ به، وإذا ثبت أنه عليه السلام الحافظ لعلوم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وحكمته، وثبت أمر الله تعالى ورسوله بالتوصّل به إلى العلم والحكمة، وجب اتباعه والأخذ عنه، وهذا حقيقة معنى الإمام، كما لا يخفى على ذوي الأفهام».

(٦)

دلالته على أن الإمام أول من يقاتل أهل البغي

وممّا يدلّ عليه حديث مدينة العلم ما ذكره الكنجي من أنّ أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام أوّل من يقاتل أهل البغي بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وهذا الوجه أيضاً يقتضي أفضليّة الامام عليه السلام من سائر الأصحاب، وصحّة الاستدلال به على مطلوب أهل الحق... وهذا نصّ كلام الحافظ الكنجي:

«قلت ـ والله أعلم ـ : إنّ وجه هذا عندي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، أراد صلّى الله عليه وسلّم أن الله تعالى علّمني العلم وأمرني بدعاء الخلق إلى الإقرار بوحدانيّته في أوّل النّبوة، حتى مضى شطر زمان الرسالة على ذلك، ثم أمرني الله بمحاربة من أبى الإقرار لله عزّ وجلّ. بالوحدانيّة بعد منعه من ذلك، فأنا مدينة العلم في الأوامر والنواهي وفي السلم والحرب، حتى جاهدت المشركين، وعلي بن أبي طالب بابها، أي: هو أوّل من يقاتل أهل البغي بعدي من أهل بيتي وسائر أمتي، ولولا أنّ علياً بيّن الناس قتال أهل البغي، وشرع الحكم في قتلهم وإطلاق الأسارى منهم وتحريم سلب أموالهم وسبي ذراريهم، لما عرف ذلك، فالنبي صلّى الله عليه وسلّم سنّ في قتال المشركين ونهب أموالهم وسبي ذراريهم، وسنّ عليّ في قتال أهل البغي أن لا يجهز على جريح ولا يقتل الأسير ولاتسبى النساء والذريّة ولاتؤخذ أموالهم، وهذا وجه حسن صحيح.

ومع هذا، فقد قال العلماء من الصّحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي، وزيادة علمه، وغزارته، وحدّة فهمه ووفور حكمته، وحسن قضاياه وصحّة فتاواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصّحابة يشاورونه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحة حكمه، وليس هذا الحديث في حقّه بكثير، لأنّ رتبته عند الله عزّ وجلّ وعند رسوله وعند المؤمنين من عباد الله أجلّ وأعلى من ذلك».[٢٣]

(٧)

الحديث في رواية جابر

قال الحافظ الخطيب: «أخبرنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري قال: أخبرنا أبو بكر بن المقري قال: ثنا أبو الطيب محمد بن عبد الصمّد الدقاق قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله أبو جعفر المكتّب قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن ابن بهمان قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الحديبيّة وهو آخذ بيد علي: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله، يمدّ بها صوته، أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب».[٢٤]

أقول: فهذا الحديث الذي رواه كبار الحفّاظ أمثال:

عبد الرزّاق بن همام الصنعاني.

وابن السقاء الواسطي.

وأبي الحسن العطّار الشافعي.

والخطيب البغدادي.

وأبي محمد الغندجاني.

وابن المغازلي.

وابن عساكر، والكنجي الشافعي.

---

(٢٣) كفاية الطالب: ٢٢٢.

(٢٤) تاريخ بغداد ٣٧٧/٢، ٢١٩/٤، وانظر: المناقب لابن المغازلي: ٨٠، كفاية الطالب: ٢٢٠.

يدلّ من جهات عديدة على اهتمام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإفصاح عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأفضليّته قولاً وفعلاً، وتلك الجهات هي:

١. إيراده صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا الكلام «يوم الحديبية»، وهو مشهد عظيم من مشاهد المسلمين يجتمع فيه الوضيع والشريف والصغير والكبير...

٢. أخذه صلّى الله عليه وآله وسلّم بضبع أمير المؤمنين عليه السلام لمزيد التأكيد وإتمام الحجة على الحاضرين والغائبين...

٣. قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقه: «هذا أمير البررة وقاتل الكفرة»

وهو نصّ صريح في إمامته...

٤. قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «منصور من نصره مخذول من خذله»

إيجاباً لطاعته وإلزاماً لاتّباعه...

٥. مدّه صلّى الله عليه وآله وسلّم صوته بقوله: «أنا مدينة...»

إبلاغاً لجميع الحاضرين...

فكيف يقال: إنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقصد بهذا الحديث إمامة أمير المؤمنين عليه السلام؟ وأنّ هذا الحديث ليس فيه دلالة على مدّعى أهل الحق؟

(٨)

الحديث في خطبة الامام الحسن عليه السلام

روى القندوزي الحنفي:

«عن الأصبغ بن نباتة قال: لمّا جلس علي عليه السلام في الخلافة خطب خطبة ذكرها أبو سعيد البختري إلى آخرها، ثم قال للحسن عليهما السلام: يا بني فاصعد المنبر وتكلّم، فصعد وبعد الحمد والتّصلية قال: أيها الناس سمعت جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلاّ من بابها. فنزل.

ثمّ قال الحسين عليه السلام فاصعد المنبر وتكلّم فصعد، فقال بعد الحمد والتّصلية: أيّها الناس سمعت جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول:

إنّ علياً مدينة هدى فمن دخلها نجى ومن تخلّف عنها هلك، فنزل.

ثم قال علي عليه السلام: أيها الناس إنّهما ولدا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وديعته التي استودعهما على أمّته، وسائل عنهما».[٢٥]

(٢٥) ينابيع المودة: ٧٢.

فذكر الإمام السبط عليه السلام حديث مدينة العلم في هذا الحال ـ أي عند جلوس الإمام علي عليه السلام في الخلافة ـ واقتصاره عليه، من أوضح البراهين على دلالته على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ووجوب متابعته والانقياد له...

(٩)

رجوع الطرق الى الامام عليه السلام

قال شهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي:

«ودعوة الحق وباب العلم *** وأعلم الصّحب بكلّ حكم»

قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: أما ترضين ـ يا فاطمة ـ أن زوّجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. وقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

فهو الداعي إلى الحق وهو دعوة الحق.

وفي الجامع الكبير: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي سبعة أجزاء والناس جزء وعلي أعلم بالواحد منه منهم. وأخرج الترمذي أنه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. ولهذا كانت الطرق والسّلسلات راجعة إليه».

أي: لمّا كان علي عليه السلام باب مدينة العلم كانت الطرق والسّلسلات راجعة إليه، وهذا المعنى أيضاً يثبت أفضليته، وثبوتها كاف في هذا الباب كما لا يخفى على أولى الألباب».[٢٦]

(١٠)

دلالة الحديث على أن الامام خاتم الأولياء

قال المولوي حسن الزمان:

«تنبيه: ومن أحسن بيّنة على معنى ختم الأولياء: الحديث المشهور الصحيح الذي صحّحه جماعات من الأئمة:

منهم: أشدّ الناس مقالاً في الرجال سند المحدثين ابن معين، كما أسنده ووافقه الخطيب في تاريخه ـ وقد كان قال أوّلاً لا أصل له ـ .

ومنهم: الإمام الحافظ المنتقد المجتهد المستقل المجدد الجامع من العلوم ـ كما ذكره السيوطي، وابن حجر، والتاج السبكي، والذهبي، والنووي، عن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ويؤيّده قول إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ـ في تهذيب الآثار، وقد قال الخطيب: لم أر مثله في معناه، كما نقل كلامه السيوطي في مسند علي من جمع الجوامع.

ومنهم: الحاكم.

ومن آخرهم: المجد الشيرازي شيخ ابن حجر، في نقد الصحيح، وأطنب في تحقيقه كما نقله الدهلوي في لمعات التنقيح.

---

(٢٦) ذخيرة المال ـ مخطوط.

واقتصر على تحسينه: العلائي، والزركشي، وابن حجر، في أقوام أخر، ردّاً على ابن الجوزي.

من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها ولاتؤتى المدينة إلاّ من بابها، قال الله تعالى: (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**).

وهو أقوى شاهد لصحة رواية صحّحها الحاكم: فمن أراد العلم فليأت الباب.

وهذا مقام الختم من أنّه لا وليّ بعده إلاّ وهو راجع إليه، آخذ من لديه، وإليه الاشارة بما في الحديث الصحيح المستفيض المشهور بل المتواتر، من الأمر بسدّ كلّ باب في المسجد إلاّ بابه، مستنداً إلى أمر الله تعالى بذلك، فهو سدّ كلّ باب من صاحب الشريعة إلاّ ما شاء في الطريقة إلى الحقيقة إلاّ بابه، فلا جرم قد انحصرت سلاسل الطريقة في باب المرتضى إلاّ ما ندر كخوخة الصديق أبي بكر، ويؤيّده الأحاديث الصحيحة المذكورة وغيرها المشهورة.

ومن هنا كان المرتضى مثل عيسى ـ على نبيّنا وكلّ الأنبياء الصلاة والسلام ـ في إفراط وتفريطهم فيه كما ورد، وقد استشهد ليلة رفع فيها عيسى كما ورد من طرق عن الامام الحسن بن علي في الخطبة، فإنّه خاتم الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي.

والمرتضى كرّم الله وجهه خاتم الولاية الخاصة المحمدية الأكبر، فالمهدي الوارد فيه ـ عند الطبراني وجماعة: المهدي منّا أهل البيت يختم الدين به كما فتح بنا ـ وليّ آخر من العرب من أكرمها أصلاً، ويدا كان الشيخ الأكبر خاتم الولاية المحمدية الأصغر عاصره ولقيه ولقّبه خاتماً خاصاً في العالم غيره قبل تحققه برتبته وإن كان بشّر به النبي، ثم لمّا تحقّق حقّق».[٢٧]

وحاصل هذا الكلام: إن حديث مدينة العلم من أحسن بيّنة على أن أمير المؤمنين عليه السلام خاتم الأولياء، وأنه ما من وليّ من الأولياء إلاّ وهو راجع إليه، آخذ من لديه، وهذا وجه آخر لدلالة حديث مدينة العلم على أفضليته فإمامته عليه السلام...

(٢٧) القول المستحسن في فخر الحسن: ١٨٤.

الفصل الثالث

في شواهد حديث مدينة العلم

ثمّ إنّ لحديث أنا مدينة العلم شواهد كثيرة، نذكرهنا بعضها:

١. أنا دارالحكمة وعلي بابها

وممن أسنده أو أرسله إرسال المسلم:

١. أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

٢. أبو عيسى الترمذي.

٣. أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي.

٤. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

٥. أبو بكر محمد بن محمد الباغندي.

٦. أبو الحسين محمد بن المظفر البغدادي.

٧. أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري المعروف بابن بطة.

٨. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

٩. أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصبهاني.

١٠. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني.

١١. أبو الحسن علي بن محمد بن الطيّب المعروف بابن المغازلي.

١٢. أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني.

١٣. أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي.

١٤. أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

١٥. أحمد بن محمد بن علي العاصمي.

١٦. كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي.

١٧. أبو المظفر يوسف بن قزعلي المعروف بسبط ابن الجوزي.

١٨. أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي.

١٩. محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري.

٢٠. صدر الدين أبو المجامع إبراهيم بن محمد الحموئي.

٢١. وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي.

٢٢. جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي.

٢٣. صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي.

٢٤. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

٢٥. شمس الدين محمد بن محمد الجزري.

٢٦. شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني.

٢٧. شهاب الدين أحمد صاحب توضيح الدلائل.

٢٨. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٢٩. شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.

٣٠. شمس الدين محمد العلقمي.

٣١. شمس الدين محمد بن يوسف الشامي.

٣٢. أحمد بن محمد ابن حجر المكي.

٣٣. علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي.

٣٤. محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين المناوي.

ونكتفي بإيراد بعض الروايات:

أحمد بن حنبل

لقد رواه جماعة عن أحمد بن حنبل بسنده عن الصنابحي في كتاب حيث قال: «عن علي قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دارالحكمة وعلي بابها.[٢٨]

الترمذي

ورواه أبو عيسى الترمذي في (الجامع الصحيح) كما في (ذخائر العقبى):

«عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن».[٢٩]

وفي (الرياض النضرة): «عن علي قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب».

وتعلم روايته من (المشكاة) و(أجوبة العلائي) و(تاريخ ابن كثير) و(نقد الصحيح) و(أسنى المطالب) (والجامع الصغير) و(الصواعق) و(كنز العمال) و(المرقاة) وغيرها أيضاً.

---

(٢٨) رواه سبط ابن الجوزي والسمهودي والمناوي وغيرهم عن فضائل علي: ٢٤٥.

(٢٩) ذخائر العقبى: ٧٧.

أبو نعيم الاصبهانى

ورواه أبو نعيم الاصبهاني حيث قال: «حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، نا الحسن بن سفيان، ثنا عبد الحميد بن بحر، ثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. رواه الأصبغ ابن نباتة والحارث عن علي نحوه، ومجاهد عن ابن عباس. عن النبي صلّى الله عليه وسلّم مثله».[٣٠]

ابن حجر العسقلانى

ورواه ابن حجر العسقلاني وأفتى بحسنه.

٢. أنا مدينة الحكمة وعلى بابها

وممن رواه أو أرسله إرسال المسلّم:

١. إسماعيل المدني الأنماطي.

٢. أبو الحسن شاذان الفضلي.

٣. أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني.

٤. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني.

٥. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

٦. أبو المجامع ابراهيم بن محمد الحموئي.

٧. السيد شهاب الدين أحمد.

٨. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

٩. عبد الرءوف بن تاج العارفين المناوي.

١٠. شاه ولي الله الدهلوي.

١١. المولوي ولي الله اللكهنوي.

١٢. الشيخ سليمان البلخي القندوزي.

ونكتفي برواية بعضهم:

الخطيب البغدادى

رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) حيث قال:

(٣٠) حلية الأولياء ٦٤/١.

«أخبرنا علي بن أبي علي المعدّل وعبيد الله بن محمد بن عبيد الله ابن سابور، حدثنا عثمان بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب».[٣١]

وفي كتاب (تلخيص المتشابه في الرسم) بقوله: «أخبرني الحسن ابن أبي طالب نا علي بن عمر الحافظ، ثنا محمد بن إبراهيم الأنماطي، نا الحسين بن عبيد الله التميمي، نا حبيب بن النعمان قال: أتيت المدينة لأجاور بها، فسألت من خير أهلها فأشاروا إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فأتيته فسلّمت عليه، فقال لي: أنت الأعرابي الذي سمعت من أنس بن مالك خمسة عشر حديثاً؟ قال قلت: نعم. قال: فأملها علي، قال: فأمليتها على ابنه وهو يسمع فقلت له: ألا تحدثني بحديث عن جدّك أخبرك به أبوك؟ قال: يا أعرابي تريد أن يبغضك الناس وينسبوك إلى الرفض؟ قال قلت: لا. قال: حدثني أبي عن جدّي قال حدثني جابر بن عبد الله قال رسول الله: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة. قال: فعجّلت. فعرف الذي أردت.

قال وحدثني أبي عن أبيه عن جابر قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة الحكم ـ أو الحكمة ـ وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».[٣٢]

٣. انا دارالعلم وعلي بابها

وممن رواه أو أثبته:

١. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.

٢. محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري.

٣. علي بن سلطان القاري.

٤. أحمد بن الفضل بن باكثير المكي.

٥. شيخ بن علي الجفري.

٦. سليمان بن إبراهيم القندوزي.

ونكتفي برواية بعضهم:

محب الدين الطبري

رواه محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) إذ قال: «ذكر أنه رضي الله عنه باب دار العلم وباب مدينة العلم. عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار العلم وعلي بابها.

أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان.

وأخرجه أبو عمرو قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وزاد: فمن أراد العلم فليأته من بابه».[٣٣]

---

(٣١) تلخيص المتشابه ١٦١/١.

(٣٢) تاريخ بغداد ٢٠٤/١١.

وفي (الرياض النضرة): «ذكر اختصاصه بأنه دار العلم وباب مدينة العلم. عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار العلم وعلي بابها. أخرجه في المصابيح في الحسان...».

وفيه: «ذكر علمه وفقهه. وقد تقدم ـ في ذكر أعلميته مطلقاً وأعلميته بالسنّة، وأنه باب دار العلم، وأن أحداً من الصحابة لم يكن يقول: «سلوني» غيره، وإحالة جمع من الصحابة عليه معظم أحاديث هذا الذكر».

علي بن سلطان القاري

وقال علي القاري: «وعنه. أي عن علي. قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة. وفي رواية: أنا مدينة العلم.

وفي رواية المصابيح: أنا دار العلم وعلي بابها. وفي رواية زيادة: فمن أراد العلم فليأته من بابه».[٣٤]

٤. أنا مدينة الجنة وعلي بابها

ومن رواته:

١. أبو الحسن علي بن محمد ـ ابن المغازلي.

٢. سليمان القندوزي البلخي.

قال ابن المغازلي:

«قوله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة الجنة:

أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل النحوي رحمه الله إذنا، عن أبي طاهر إبراهيم بن محمد بن عمر بن يحيى العلوي، نا عمر بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله، نا عبد الرزاق بن سليمان بن غالب الأزدي، نا رباح ومحمد بن سعيد بن شرحبيل، نا أبو عبد الغني الحسن بن علي نا عبد الوهاب بن همام، حدثني أبي عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا مدينة الجنة وعلي بابها، فمن أراد الجنة فليأتها من بابها».[٣٥]

٥. أنا مدينة الفقه وعلي بابها

ومن رواته:

١. أبو عبد الله عبيد الله بن محمد ـ ابن بطة العكبري.

٢. شمس الدين يوسف بن قز غلي ـ سبط ابن الجوزي.

٣. أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني.

٤. رحمة الله بن عبد الله السندي.

سبط ابن الجوزي

---

(٣٣) ذخائر العقبى: ٧٧.

(٣٤) المرقاة في شرح المشكاة ٥٧١/٥.

(٣٥) مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي: ٨٦.

قال سبط ابن الجوزي في ذكر حديث أنا مدينة العلم: وفي رواية: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي رواية: أنا مدينة الفقه وعلي بابها».[٣٦]

٦. أنا المدينة وأنت الباب ولاتؤتى المدينة إلا من بابها

وممن رواه: العاصمي.

قال: «وأخبرنا محمد بن أبي زكريا الثقة رحمه الله، قال حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، قال أخبرنا محمد بن عمر بن سلم الجعابي الحافظ أبو بكر، قال حدثني أبو محمد القاسم بن محمد ابن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمد بن علي، قال حدثني

أبي عن أبيه عن محمد بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن محمد عن أبيه محمد عن أبيه عمر عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعلي: إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأعلّمك لتعي، وأنزلت عليّ هذا الآية: (**وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ**)فأنت الاذن الواعية لعلمي يا علي، وأنا المدينة وأنت الباب ولا تؤتى المدينة إلاّ من بابها».[٣٧]

٧. فهو باب مدينة علمي

قاله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث المعراج، ومن رواته:

١. أبو الحسن علي بن محمد ـ ابن المغازلي.

٢. أبو المؤيّد الموفق بن أحمد ـ الخطيب الخوارزمي.

٣. الشيخ سليمان القندوزي البلخي.

قال أبو الحسن ابن المغازلي:

«قوله صلّى الله عليه وسلّم: أتاني جبرئيل بدرنوك من درانيك الجنة:

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن موسى الكندجاني، نأأبو الفتح هلال بن محمد الحفّار، نا إسماعيل بن علي بن رزين، نا أخي دعبل بن علي، نا شعبة بن الحجّاج عن أبي التياح عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أتاني جبرئيل بدر نوك من الجنة، فجلست عليه، فلمّا صرت بين يدي ربي فكلّمني وناجاني، فما علّمني شيئا إلاّ علمه علي، فهو باب مدينة علمي.

ثم دعاه النبي صلّى الله عليه وسلّم إليه فقال له: يا علي، سلمك سلمي وحربك حربي، وأنت العلم بيني وبين أمتي من بعدي».[٣٨]

---

(٣٦) تذكرة خواص الامة: ٤٨.

(٣٧) زين الفتى بتفسير سورة هل أتى ـ مخطوط.

(٣٨) المناقب لابن المغازلي: ٥٠.

٨. علي منّي وأنا من علي، فهو باب علمي وصيي

قاله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث لعبد الرحمن بن عوف.

رواه السيد علي الهمداني، وعنه القندوزي، وهذا لفظه:

«عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: ـ قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبد الرحمن بن عوف: يا عبد الرحمن، إنّكم أصحابي، وعلي بن أبي طالب أخي ومني وأنا من علي، فهو باب علمي ووصيي. وهو وفاطمة والحسن والحسين هم خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً».[٣٩]

٩. علي باب علمي ومبيّن لأُمتي ما أُرسلت به

ومن رواته:

١. شيرويه بن شهردار الديلمي.

٢. شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي.

٣. السيد علي الهمداني.

٤. جلال الدين السيوطي.

٥. عبد الوهاب البخاري.

٦. علي المتقي الهندي.

٧. إبراهيم الوصابي اليمني.

٨. جلال الدين المحدّث الشيرازي.

٩. محمد صدر العالم.

١٠. أحمد بن عبد القادر العجيلي.

١١. نور الدين السليماني.

١٢. ولي الله اللكهنوي.

١٣. سليمان القندوزي البلخي.

نكتفي برواية بعضهم:

قال السيوطي:

قال الديلمي: أنا أبي، أنا الميداني، أنا أبو محمد الحلاّج، أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن عبيد الثقفي، ثنا محمد بن علي بن خلف العطار، ثنا موسى بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثنا عبد المهيمن بن العباس عن أبيه، عن جده سهل بن سعد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: علي باب علمي ومبيّن لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبّه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة».[٤٠]

---

(٣٩) ينابيع المودة: ٢٦٣ عن المودة في القربى.

(٤٠) اللئالي المصنوعة ٣٣٥/١.

ورواه في كتابه (جمع الجوامع) ولفظه: «على باب علمي ومبيّن لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة. الديلمي عن أبي ذر».

وقال في (القول الجلي في فضائل علي): «الحديث الثامن والثلاثون ـ عن أبي ذر: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال علي باب علمي ومبيّن لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه رأفة».

١٠. وأنت باب علمى

هو في حديث طويل مشتمل على جملة من فضائل علي عليه السلام، روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، مخاطباً للإمام عليه السلام يوم خيبر... ومن رواته:

١. أبو سعد عبد الملك الخركوشي.

٢. أبو نعيم الاصبهاني.

٣. أبو منصور شهردار الديلمي.

٤. أبو المؤيّد الموفّق الخوارزمي.

٥. أبو العلاء العطّار الهمداني.

٦. أبو حامد محمود الصالحاني.

٧. أبو عبد الله الكنجي الشافعي.

٨. السيد شهاب الدين أحمد.

٩. الشيخ سليمان القندوزي.

١١. عيبة علمى وبابي الذي أُوتى منه

ومن رواته:

١. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني.

٢. أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد الخوارزمي.

٣. أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي.

٤. أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي.

٥. أبو المجامع صدر الدّين الحموئي.

٦. حسام الدين أبو عبد الله حميد المحلي.

٧. السيد شهاب الدين أحمد.

٨. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

٩. سليمان بن إبراهيم البلخي القندوزي.

قال أبو نعيم الاصفهاني

«حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر النسائي قال: حدثنا محمد بن جرير قال: حدّثنا عبد الله بن داهر الرازي قال: حدّثني أبي داهر بن يحيى الأحمري المقري قال: حدّثنا الأعمش عن عباية، عن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

وقال: يا أم سلمة، اشهدي واسمعي: هذا علي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وعيبة علمي بابي الذي أوتي منه، والوصي على الأموات من أهل بيتي، أخي في الدنيا وخديني في الآخرة، ومعي في السّنام الأعلى».[٤١]

١٢. وهو بابي الذي اوتى منه

ومن رواته:

١. أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه.

٢. أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر.

٣. أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي.

قال الحافظ الكنجي

في الباب الرابع والأربعين من كتابه: «أخبرنا العلاّمة مفتي الشام أبو نصر محمد بن هبة الله القاضي، أخبرنا أبو القاسم الحافظ، أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم ابن مسعدة، أخبرنا أبو عبد الرحمن بن عمرو الفارسي، أخبرنا أبو أحمد ابن عدي، حدثنا علي بن سعيد بن بشير، حدثنا عبد الله بن داهر الرازي، حدثنا أبي عن الأعمش عن عباية عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله تعالى وعلي بن أبي طالب... هكذا أخرجه محدّث الشّام في فضائل علي في الجزء التاسع والأربعين بعد الثلاثمائة من كتابه بطرق شتى».[٤٢]

١٣. علي بن أبي طالب باب حطة

ومن رواته:

١. أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني.

٢. أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي.

٣. السيد علي بن شهاب الهمداني.

---

(٤١) منقبة المطهرين أهل بيت محمد سيد الأولين والآخرين ـ مخطوط.

(٤٢) كفاية الطالب: ١٧٨ ـ ١٨٨.

٤. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

٥. عبد الوهاب بن محمد رفيع البخاري.

٦. أحمد بن محمد ـ ابن حجر المكي.

٧. علي بن حسام الدين المتقي.

٨. شيخ بن عبد الله العيدروس اليمني.

٩. علي بن أحمد العزيزي الشافعي.

١٠. ميرزا محمد بن معتمد خان البدخشاني.

١١. محمد صدر العالم.

١٢. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

١٣. أحمد بن عبد القادر العجيلي.

١٤. سليمان بن إبراهيم القندوزي.

رواه الحافظ السيوطي حيث قال:

«علي باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كافراً. قط في الأفراد».[٤٣]

وهو الحديث التاسع والثلاثون من (القول الجلي)

١٤. علي بن أبي طالب باب الدين

ومن رواته:

١. أبو شجاع شيرويه الديلمي

٢. السيد علي الهمداني.

٣. سليمان القندوزي البلخي.

١٧. علي منّي وأنا منه ولايؤدّي إلاّ أنا أو علي

ذكره السخاوي مؤيّداً لحديث أنا مدينة العلم، وهو من أشهر أحاديث مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وخصائصه، رواه كبار الأئمة والحفاظ والعلماء في مختلف القرون. ومنهم:

١. أبو بكر عبد الله ابن أبي شيبة.

٢. أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة.

٣. أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

---

(٤٣) الجامع الصغير ٦٦/٢.

٤. أبو عبد الله محمد بن ماجة القزويني.

٥. أبو عيسى الترمذي.

٦. أبو بكر ابن أبي عاصم.

٧. أبو عبد الرحمن النسائي.

٨. أبو القاسم البغوي.

٩. أبو الحسين ابن قانع البغدادي.

١٠. أبو القاسم الطبراني.

١١. أبو الحسن الجلاّبي ـ ابن المغازلي الواسطي.

١٢. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.

١٣. أبو طاهر السّلفي الاصبهاني.

١٤. مجد الدّين ابن الأثير الجزري.

١٥. ضياء الدين المقدسي الحنبلي.

١٦. أبو عبد الله الكنجي الشافعي.

١٧. أبو الفتح محمد بن محمد الباوردي.

١٨. محيي الدين النووي.

١٩. محب الدين الطبري الشافعي.

٢٠. صدر الدين أبو المجامع الحموئي.

٢١. شمس الدين الذّهبي.

٢٢. ولي الله الخطيب التبريزي.

٢٣. شمس الدين السّخاوي.

٢٤. جلال الدين السّيوطي.

٢٥. ابن حجر المكي.

٢٦. المتقي الهندي.[٤٤]

١٨. فهم الباب المبتلى بهم، من اتاهم نجا ومن اباهم هوى

قاله صلّى الله عليه وآله وسلّم في خطبة له في فضل أهل البيت عليهم السلام، ومن رواتها المشهورين:

أبو نعيم الاصبهاني، رواها بإسناده:

---

(٤٤) مسند أحمد ٤ / ١٦٤ ـ ١٦٥، سنن ابن ماجة ١ / ٤٤، الترمذي ٥ / ٦٣٦، خصائص علي: ٩٠، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٧، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٨.

«عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوما ـ ومعه علي والحسن والحسين ـ فخطبنا فقال: أيها الناس! إن هؤلاء أهل بيت نبيكم، قد شرّفهم الله بكرامته واستحفظهم سرّه واستودعهم علمه، فهم عماد الدين وشهداء على أمته، برأهم قبل خلقه إذ هم أظلة تحت عرشه نجباء في علمه، وارتضاهم واصطفاهم، فجعلهم علماء وفقهاء لعباده، ودلّهم على صراطه، فهم الأئمة المهديّة والقادة الداعية والأئمة الوسطى والرحم الموصولة [الموصولة]، هم الكهف الحصين للمؤمنين، ونور أبصار المهتدين، وعصمة من لجأ إليهم ونجاة لمن احترز بهم، يغتبط من والاهم ويهلك من عاداهم، ويفوز من تمسّك بهم، الراغب عنهم مارق من الدين، والمقصّر عنهم زاهق، واللازق لهم لاحق، فهم الباب المبتلى بهم، من أتاهم نجى ومن أباهم هوى، هم حطّة لمن دخله وحجّة الله على من جهله، إلى الله يدعون وبأمر الله يعملون وبآياته يرشدون، فيهم نزلت الرسالة وعليهم هبطت ملائكة الرحمة وإليه بعث الروح الأمين، تفضلاً من الله ورحمة وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، فعندهم ـ بحمد الله ـ ما يلتمس ويحتاج من العلم والهدى في الدين، وهم النور من الضلالة عند دخول الظلم، وهم الفروع الطيبة من الشجرة المباركة، وهم معدن العلم وأهل بيت الرحمة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».[٤٥]

ويؤيّده:

قول ابن عباس في كلام له في مدح أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام: «هم الرحم الموصولة والأئمة المتخيرة والباب المبتلى به الناس، من أتاهم نجى ومن نأى عنهم هوى، حطة لمن دخلهم وحجة على من تركهم».

رواه العاصمي في (زين الفتى بتفسير سورة هل أتى).

١٩. مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة

وهذا الحديث أيضاً ذكره السخاوي مؤيّداً لحديث أنا مدينة العلم، وهو من أشهر الأحاديث في مناقب العترة الطاهرة، رواه عدد كبير من مشاهير الأئمة والحفاظ والمحدثين ومنهم:

١. أبو بكر أحمد بن عبد الخالق البزار.

٢. أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي.

٣. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

٤. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري.

٥. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني.

٦. أبو شجاع شيرويه الديلمي.

٧. أبو محمد العاصمي.

٨. أبو محمد عبد العزيز الجنابذي.

---

(٤٥) منقبة المطهرين ـ مخطوط.

٩. صدر الدين أبو المجامع الحموئي.

١٠. السيد علي الهمداني.

١١. شمس الدين السخاوي.

١٢. جلال الدين السيوطي.

١٣. نور الدين السمهودي.

١٤. ابن حجر الهيتمي المكي.

١٥. علي المتقي الهندي.

١٦. شاه ولي الله الدهلوي.

١٧. الشيخ سليمان القندوزي.

١٨. أحمد زيني دحلان.

ولو أردنا إيراد روايات هؤلاء جميعاً لخرجنا عن المقصود كذلك، ولذا نكتفي بذكر الأهم منها فنقول:

قال الحاكم: «أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان الزاهد ببغداد، ثنا العباس بن ابراهيم القراطيسي، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا مفضل بن صالح عن أبي إسحاق عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول ـ وهو أخذ بباب الكعبة ـ: من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم. يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل حطّة لبني إسرائيل».[٤٦]

ورواه أبو نعيم الاصفهاني عن أبي سعيد الخدري وأبي ذر في كتابه (منقبة المطهرين).

ورواه السيد علي الهمداني عن الديلمي صاحب الفردوس في كتابه (السبعين في مناقب أمير المؤمنين).[٤٧] وكذا في (روضة الفردوس).

وقال السخاوي بعد أن رواه عن الحاكم: «وأخرجه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي الطفيل عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق. وإن أهل بيتي مثل باب حطة.

وأخرجه البزار من طريق سعيد بن المسيب عن أبي ذر نحوه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له. رواه الطبراني في الصغير والأوسط».[٤٨]

---

(٤٦) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٠.

(٤٧) ينابيع المودّة: ٢٤٠.

(٤٨) استجلاب ارتقاء الغرف: ١٢٢.

الفصل الرابع

في دحض المناقشات في سند الحديث

ثم إنَّ ثمة شبهات حول سند الحديث، نتعرّض لها وندحضها:

ردّ نسبة القدح إلى ابن معين

فأوّل ما ادّعي: طعن الحافظ يحيى بن معين في ثبوت هذا الحديث، وهذه الدعوى مردودة بوجوه:

١. إنّه صحّحه في جواب سؤال الأنباري

لقد أفتى يحيى بن معين بصحّة حديث مدينة العلم في جواب سؤال القاسم بن عبد الرحمن الأنباري: «سألت يحيى عن هذا الحديث فقال: هو صحيح. قال الخطيب: أراد إنّه صحيح من حديث أبي معاوية وليس بباطل، إذ قد رواه غير واحد عنه».

وفي تهذيب الكمال بترجمة أبي الصّلت عبد السلام بن صالح الهروي: «قال القاسم بن عبد الرحمن الأنباري: حدّثنا أبو الصّلت الهروي قال: حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه.

قال القاسم:

سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال: صحيح. قال أبو بكر ابن ثابت الحافظ: أراد إنّه صحيح من حديث أبي معاوية وليس بباطل، إذ قد رواه غير واحد عنه».[٤٩]

وفي تهذيب التهذيب بترجمة أبي الصّلت: «وقال القاسم بن عبد الرحمن الأنباري: سألت يحيى بن معين عن حديث حدّثنا به أبو الصّلت عن أبي معاوية، عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

فقال: هو صحيح. قال الخطيب: أراد به صحيح عن أبي معاوية، إذ قد رواه غير واحد عنه».[٥٠]

وقد ورد تصحيح ابن معين للحديث في كتب أخرى غير ما ذكر، كما مرّ فيما مضى.

٢. إنّه أثبته في جواب الدوري

لقد أثبت يحيى بن معين حديث مدينة العلم في جواب سؤال عباس بن محمد الدّوري...

---

(٤٩) تهذيب الكمال ٧٩/١٨.

(٥٠) تهذيب التهذيب: ٣٢٠/٦.

فقد قال الحاكم النيسابوري بعد إخراج حديث مدينة العلم بطريق أبي الصلت الهروي ـ : «وأبو الصّلت ثقة مأمون، فإنّي سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب في التاريخ يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سألت يحيى بن معين عن أبي الصّلت الهروي، فقال: ثقة، فقلت: أليس قد حدّث عن أبي معاوية عن الأعمش: أنا مدينة العلم؟ فقال: قد حدّث به محمد بن جعفر الفيدي وهو ثقة مأمون».[٥١]

وقال الخطيب في (تاريخ بغداد) ـ على ما نقل عنه السّيوطي: «قال عباس الدّوري: سمعت يحيي بن معين يوثّق أبا الصّلت عبد السّلام بن صالح فقلت له: إنّه حدّث عن أبي معاوية عن الأعمش: أنا مدينة العلم وعلي بابها! فقال: ما تريدون من هذا المسكين؟ أليس قد حدّث به محمّد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية».[٥٢]

وقال عبد الغني المقدسي بترجمة أبي الصّلت: «قال عباس بن محمد: سمعت يحيى بن معين يوثق أبا الصلت، فقيل له: إنه حدّث عن أبي معاوية: أنا مدينة العلم وعلي بابها! فقال: ما تريدون من هذا المسكين؟ أليس قد حدّث به محمد الفيدي عن أبي معاوية؟».[٥٣]

وقال المزي بترجمته: «قال عباس بن محمد الدوري: سمعت يحيى بن معين يوثّق أبا الصّلت عبد السلام بن صالح، فقلت: إنه حدّث عن أبي معاوية عن الأعمش: أنا مدينة العلم وعلي بابها! فقال: ما تريدون من هذا المسكين؟ أليس قد حدّث محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية. فقال نحوه».[٥٤]

وقال ابن حجر: «وقال الدوري: سمعت ابن معين يوثق أبا الصلت وقال في حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها: قد حدّث به محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية».[٥٥]

وقد استشهد بهذا الكلام العلائي والفيروزآبادي في دفاعهما عن هذا الحديث.

٣. إنّه أثبته في جواب ابن المحرز

وأثبته يحيى بن معين في جواب سؤال أحمد بن محمد بن القاسم ابن المحرز عن أبي الصلت عبد السّلام الهروي، فقد ذكر الخطيب في (تاريخه) ـ على ما نقل عنه السيوطي في (نفع قوت المغتذي) ما نصّه: «وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن المحرز: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي فقال: ليس ممّن يكذب، فقيل له في حديث أبي معاوية أنا مدينة العلم، فقال: هو من حديث أبي معاوية، أخبرني ابن نمير قال: حدّث به أبو معاوية قديماً، ثمّ كفّ عنه. وكان أبو الصّلت رجلا موسراً يطلب هذه الأحاديث ويلزم المشايخ، فكانوا يحدّثونه بها».

٤. إنّه أثبته في جواب صالح جزرة

---

(٥١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٥٢) اللآلي المصنوعة ١ / ٣٣٢.

(٥٣) الكمال في أسماء الرجال ـ مخطوط.

(٥٤) تهذيب الكمال ١٨ / ٧٩.

(٥٥) تهذيب التهذيب ٣٢١/٦.

وكذلك أثبت ابن معين هذا الحديث في جواب سؤال صالح بن محمد جزرة عن أبي الصّلت الهروي، قال الحاكم: «سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه القباني إمام عصره ببخارى يقول: سمعت صالح بن محمد بن حبيب الحافظ يقول: وسئل عن أبي الصلت الهروي فقال: دخل يحيى بن معين ـ ونحن معه ـ على أبي الصّلت فسلّم عليه، فلما خرج تبعته، فقلت له: ما تقول ـ رحمك الله ـ في أبي الصّلت؟ فقال: هو صدوق، فقلت له: إنه يروي حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها؟ فقال: قد روى هذا ذاك الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش، كما رواه أبو الصّلت».[٥٦]

وفي اللآلى المصنوعة عن الخطيب البغدادي: «وقال عبد المؤمن ابن خلف النسفي: سألت أبا علي صالح بن محمد عن أبي الصّلت الهروي فقال: رأيت يحيى بن معين يحسن القول فيه، ورأيته سئل عن الحديث الذي روى عن أبي معاوية: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فقال: رواه أيضاً الفيدي. قلت: ما اسمه؟ قال: محمد بن جعفر».[٥٧]

أقول:

فظهر أنّ «يحيى بن معين» ممّن يصحّح حديث مدينة العلم ويثبته، وقد علم من الوجوه المذكورة أنه قد سعى ـ السّعي الجميل ـ في سبيل إثبات هذا الحديث وردّ الشّبهات عنه، فكيف يجوز نسبة كلمة «لا أصل له» إليه؟

اللّهمّ إلاّ أن يقال بأنّ هذه الكلمات قد صدرت منه قبل وقوفه على حقيقة أمر الحديث، ثم صرّح بما هو الحق الثابت والحقيقة الراهنة، وهذا هو الذي اختاره المولوي حسن الزمان حيث قال: «تنبيه: من أحسن بيّنة على معنى ختم الأولياء الحديث المشهور الصحيح الذي صحّحه جماعات من الأئمة، منهم أشدّ الناس مقالاً في الرّجال، سند المحدثين ابن معين، كما أسنده عنه ووافقه الخطيب في تاريخه، وقد كان قال أوّلاً: لا أصل له...».[٥٨]

لكنّ المستفاد من كلام السّخاوي أن هذه الكلمة لم تصدر من ابن معين بالنسبة إلى حديث مدينة العلم في حين من الأحيان، بل إن ذلك ـ على فرض ثبوته ـ كان منه بالنسبة إلى حديث: أنا دار الحكمة... قال السخاوي:

حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها. الحاكم في المناقب من مستدركه، والطبراني في معجمه الكبير، وأبو الشيخ ابن حيان في السّنة له، وغيرهم، كلّهم من حديث أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً به بزيادة: فمن أراد العلم فليأت الباب.

ورواه الترمذي في المناقب من جامعه، وأبو نعيم في الحلية، وغيرهما، من حديث علي: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

قال الدار قطني في العلل عقيب ثانيهما: إنّه حديث مضطرب غير ثابت، وقال الترمذي: إنه منكر، وكذا قال شيخه البخاري وقال: إنه ليس له وجه صحيح، وقال يحيى بن معين ـ فيما حكاه الخطيب في تاريخ بغداد ـ إنه كذب لا أصل له.

---

(٥٦) المستدرك على الصحيحين: ١٢٧/٣.

(٥٧) اللآلي المصنوعة: ٣٣٢/١.

(٥٨) القول المستحسن: ٤٥٢.

وقال الحاكم عقيب أوّلهما: إنّه صحيح الإسناد».[٥٩]

أقول:

لكنّ صدوره بالنّسبة إلى هذا الحديث أيضا مستبعد عندي، لأنّه ـ كحديث مدينة العلم ـ حديث صحيح، وقد نصّ على صحته ابن جرير الطبري، والعلائي، والفيروزآبادي، وغيرهم.

ولقد بلغ دفاع ابن معين عن حديث مدينة العلم من المتانة والقوّة حدّاً لم يتمكّن أحد من القادحين فيه من الإتيان بجواب عنه، ومن هنا قال العلائي ـ فيما نقل عنه السّيوطي في (قوت المغتذي) ـ: «ولم يأت كلّ من تكلّم على حديث أنا مدينة العلم، بجواب عن هذه الروايات الثابتة عن يحيى بن معين»

وقال ابن حجر المكي في المنح المكيّة نقلاً عن العلائي: «ولم يأت أحد ممن تكلّم في هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن يحيى بن معين».

ومن شواهد ما ذكره العلائي والفيروزآبادي ما جاء في سير أعلام النبلاء بترجمة أبي الصّلت الهروي، حيث حكى توثيق يحيى بن معين إيّاه وإثباته حديث مدينة العلم بقوله: «وقال عباس: سمعت ابن معين يوثّق أبا الصّلت، فذكر له حديث أنا مدينة العلم فقال: قد حدّث به محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية».[٦٠]

وقد أقرّ الذّهبي ما رواه عباس الدّوري عن يحيى بن معين، غير أنّه اعترض عليه من ناحية أخرى، فعقبّه بقوله: «قلت: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وكان هذا بارّاً بيحيى، ونحن نسمع من يحيى دائماً ونحتجّ بقوله في الرجال، ما لم يتبرهن لنا وهن رجل انفرد بتقويته أو قوّة من وهّاه».

وهذا الكلام يضرّ بمذهب أهل السنّة، بل يمكن القول بأنّه يهدم أساس مذهبهم، إذ لا يخفى علوّ قدر ابن معين وجلالة منزلته في علوم الحديث ـ ولا سيّما فن الجرح والتعديل ـ على من راجع تراجمه في تهذيب التهذيب ١١ / ٢٨٠ وتهذيب الأسماء واللغات ٢ / ١٥٦ ووفيات الأعيان ٦ / ١٣٩ وتذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٩ ومرآة الجنان حوادث: ٢٠٣ وغيرها.

بل ذكر ابن الرّومي ـ فيما نقل عنه ابن خلكان ـ: «ما سمعت أحداً قط يقول الحق غير ابن معين، وغيره كان يتحامل بالقول».

رد قدح البخاري

ثم إنه قد نُسب إلى البخاري القدح في حديث مدينة العلم، ولكنه مردود بوجوه كذلك:

أوّلاً: إن كان طعن من البخاري فهو في حديث: أنا دارالحكمة. لاحديث «أنا مدينة العلم».

وثانياً: لو سلّمنا صدوره بالنّسبة إلى حديث «أنا مدينة العلم» فإنه لايعبؤبه، لاشتهار البخاري بالانحراف عن علي وأهل البيت عليهم السّلام، لا سيّما مع رواية مشايخه وغيرهم له من أمثال عبدالرزاق الصنعاني وأحمد بن حنبل

---

(٥٩) المقاصد الحسنة: ٩٧.

(٦٠) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٤٦.

وابن معين والترمذي والطبري والحاكم، وبعد تصحيح جمع من الأكابر له، وحكم آخرين. بحسنه، ومن هنا لم يلتفت جماعة إلى قدح البخاري وأعرضوا عنه.

رد نسبة القدح الى الترمذي

ونسبة القدح في حديث أنا مدينة العلم إلى الترمذي كذب محض لوجوه:

(١) نقل جماعة الحديث عن صحيح الترمذي

فقد نقل ابن طلحة الشافعي وابن تيميّة وابن روزبهان وابن حجر المكي وآخرون حديث مدينة العلم عن الترمذي، بل لقد رواه السيوطي عن الترمذي في مقام الردّ على طعن ابن الجوزي فقال: «حديث ق ك: أنا مدينة العلم وعلي بابها. أورده من حديث علي وابن عباس وجابر.

قلت: حديث علي أخرجه الترمذي والحاكم، وحديث ابن عباس أخرجه الحاكم والطبراني، وحديث جابر أخرجه الحاكم...».

وقال السّيوطي في اللآلي المصنوعة بعد ذكر قدح ابن الجوزي: «قلت: حديث علي أخرجه الترمذي...».

فكأنّه يقول لابن الجوزي: كيف تورد حديث مدينة العلم من حديث علي في الموضوعات وتقدح فيه وقد أخرجه الترمذي...؟!

وقد نقل الشوكاني في الفوائد المجموعة القدح في هذا الحديث عن بعض المتعنّتين ثمّ قال: «وأجيب عن ذلك بأنّ محمد بن جعفر البغدادي الفيدي قد وثّقه يحيى بن معين، وأن أبا الصلت الهروي قد وثّقه ابن معين والحاكم، وقد سئل عن هذا الحديث فقال: صحيح، وأخرجه الترمذي عن علي مرفوعاً، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد...».

رد قدح ابن الجوزى

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

أقول:

لكنّ الاحتجاج بذكر «ابن الجوزي» حديث مدينة العلم في «الموضوعات» باطل جدّاً، وذلك لسقوط آراء ابن الجوزي وكتابه المذكور عن درجة الاعتبار، لدى أكابر العلماء الأعلام، ولنذكر شطراً من كلماتهم في هذا المضمار:

من كلمات العلماء في ابن الجوزي

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٧ من الكامل: ـ «وفي هذه السّنة في شهر رمضان توفي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد، وتصانيفه مشهورة، وكان كثير الوقيعة في الناس، لا سيّما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له، وكان مولده سنة ٥١٠».

وكذا في الخميس في حوادث السنة المذكورة.

وفي المختصر في أخبار البشر: «وكان كثير الوقيعة في العلماء».

وفي الكامل بترجمة عبد الكريم السمعاني: «وقد جمع مشيخته فزادت عدّتهم على أربعة آلاف شيخ، وقد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي فقطّعه، فمن جملة قوله فيه: إنه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به إلى فوق نهر عيسى فيقول: حدثني فلان بما وراء النهر. وهذا بارد جداً، فإنّ الرجل سافر إلى ما وراء النهر حقّاً، وسمع في عامة بلاده من عامة شيوخه، فأيّ حاجة به إلى هذا التدليس البارد، وإنّما ذنبه عند ابن الجوزي أنه شافعي، وله أسوة بغيره، فإن ابن الجوزي لم يبق على أحد إلاّ مكثري الحنابلة»

وذكره ابن الوردي.

وقال اليافعي في مرآة الجنان حوادث ٥٩٥ «وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط وتلقّاه الناس، وبقي في المطمورة خمس سنين، كذا ذكره الذهبي، ولم يتبيّن لأيّ سبب سجن، وكنت قد سمعت فيما مضى أنه حبس بسبب الشيخ عبد القادر بأنّه كان ينكر عليه، وكان بينه وبين أبيه عداوة بسبب الإنكار المذكور، وأخبرني من وقف على كتاب له أنّه ينكر فيه على قطب الأولياء تاج المفاخر الذي خضعت لقدمه رقاب الأكابر الشيخ محي الدين عبد القادر قدس الله روحه ونوّر ضريحه، وإنكار ابن الجوزي عليه وعلى غيره من الشيوخ أهل المعارف والنور من جملة الخذلان وتلبيس الشيطان والغرور، والعجب منه في إنكاره عليهم وبمحاسنهم يطرز كلامه، فقد ملأت ـ والحمد لله ـ محاسنهم الوجود، فلا مبالاة بذم كلّ مغرور وحسود.»

وقال الذهبي بترجمة أبان بن يزيد العطّار: «ثم قال ابن عدي: هو حسن الحديث متماسك، يكتب حديثه، وعامّتها مستقيمة، وأرجو أنّه من أهل الصدق.

قلت: بل هو ثقة حجة، ناهيك بأن أحمد بن حنبل ذكره فقال: كان ثبتاً في كلّ المشايخ، وقال ابن معين والنسائي: ثقة. وقد أورده العلامة أبو الفرج ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثّقه، وهذا من عيوب كتابه، يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق، ولو لا أنّ ابن عدي وابن الجوزي ذكرا أبان بن يزيد لما ذكرته أصلاً».[٦١]

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: «قرأت بخطّ الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلاذر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جدّاً، وكان يخضبها بالسواد، وكان كثير الغلط فيما يصنّفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره. قلت: له وهم كثير في تواليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحوّل إلى مصنف آخر، ومن أن جلّ علمه من كتب وصحف ما مارس فيه أرباب العلم كما ينبغي».[٦٢]

وقال ابن حجر بترجمة ثمامة بن الأشرس البصري: «وذكر أبو منصور ابن طاهر التميمي في كتاب الفرق بين الفرق، أنّ الواثق لما قتل أحمد بن نصر الخزاعي ـ وكان ثمامة ممّن سعى في قتله ـ فاتفق أنه حجّ فقتله ناس من خزاعة بين الصّفا والمروة. وأورد ابن الجوزي هذه القصّة في حوادث سنة ثلاث عشرة، وترجم لثمامة فيمن مات فيها وفيها تناقض، لأن قتل أحمد بن نصر تأخّر بعد ذلك بدهر طويل، فإنه قتل في خلافة الواثق سنة بضع وعشرون، فكيف يقتل

---

(٦١) ميزان الاعتدال ١ / ١٦.

(٦٢) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٢.

قاتله سنة ثلاث عشرة، والصّواب أنه مات في سنة ثلاث عشرة، ودلّت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليل لا ينتقد مايحدّث به».[٦٣]

وفي طبقات الحفاظ للسيوطي وطبقات المفسّرين للداودي بترجمة ابن الجوزي «قال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه».

من كلمات العلماء في الموضوعات لابن الجوزي

قال ابن الصلاح: «ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلّدين، فأودع فيها كثيراً ممّا لا دليل على وضعه، وإنما حقّه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة».[٦٤]

وقال محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني في المنهل الروي في علم أصول حديث النبيّ: «وصنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتابه في الموضوعات، فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على وضعه».

وقال ابن كثير «وقد صنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنّه أدخل فيه ما ليس منه، وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره، فسقط عليه ولم يهتد إليه».[٦٥]

وقال الزين العراقي بشرح قوله:

«وأكثر الجامع فيه إذ خرج *** لمطلق الضعف عنى أبا الفرج».

قال: «قال ابن الصلاح: ولقد أكثر الذي جمع... وأراد ابن الصلاح بالجامع المذكور أبا الفرج ابن الجوزي، وأشرت إلى ذلك بقولي عنى أبا الفرج».[٦٦]

وقال ابن حجر العسقلاني بعد إثبات حديث سدّ الأبواب إلاّ باب علي عليه السلام: «وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلّم فيه من رواته، وليس بقادح، لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنّه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر. انتهى، وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً، فإنه سلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهّمه المعارضة، مع أنّ الجمع بين القصتين ممكن».

وقال ابن حجر أيضا في بحثه حول الحديث المذكور: «قول ابن الجوزي في هذا الحديث إنه باطل وإنه موضوع، دعوى لم يستدل عليها إلاّ بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين، وهذا إقدام على ردّ الأحاديث الصحيحة بمجرّد التوهّم، ولاينبغي الإقدام على الحكم بالوضع إلاّ عند عدم إمكان الجمع، ولايلزم من تعذّر الجمع في الحال أنه لا يمكن بعد ذلك، لأن فوق كلّ ذي علم عليم، وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان، بل يتوقّف فيه إلى أن

---

(٦٣) لسان الميزان ٢ / ٨٤.

(٦٤) علوم الحديث ٢١٢.

(٦٥) الباعث الحثيث: ٧٥.

(٦٦) شرح الألفية ١ / ٢٦١.

يظهر لغيره ما لم يظهر له، وهذا الحديث من هذا الباب، هو حديث مشهور له طرق متعددة، كلّ طريق منها على انفراده لا تقصر عن رتبة الحسن، ومجموعها ممّا يقطع بصحّته على طريقه كثير من أهل الحديث».[٦٧]

وقال السخاوي: «ويوجد الموضوع كثيراً في الكتب المصنفة في الضعفاء وكذا في العلل، ولقد أكثر الجامع فيه مصنفاً نحو مجلّدين، إذ خرج عن موضوع كتابه لمطلق الضعف، حيث أخرج فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة التي لا دليل معه على وضعها، وعنى ابن الصلاح بهذا الجامع الحافظ الشهير أبا الفرج ابن الجوزي، بل ربما أدرج فيها الحسن والصحيح مما هو في أحد الصحيحين فضلاً. عن غيرهما، وهو ـ مع إصابته في أكثر ما عنده ـ توسع منكر ينشأ عنه غاية الضرر، من ظن ما ليس بموضوع بل هو صحيح موضوعاً، مما قد يقلّده فيه العارف تحسيناً للظن به، حيث لم يبحث فضلاً عن غيره، ولذا انتقد العلماء صنيعه إجمالاً، والموقع له استناده في غالبه بضعف راويه الذي رمي بالكذب مثلاً، غافلاً عن مجيئه من وجه آخر...».[٦٨]

وفيه: «ثم إنّ من العجب إيراد ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية كثيراً ممّا أورده في الموضوعات، كما أن في الموضوعات كثيراً من الأحاديث الواهية، بل قد أكثر في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه. قال شيخنا: وفاته من نوعي الموضوع والواهي في الكتابين قدر ما كتب، قال: ولو انتدب شخص لتهذيب الكتاب ثم لإلحاق ما فاته لكان حسناً، وإلاّ فيما تقرر عدم الانتفاع به إلاّ للناقد، إذ ما من حديث إلاّ ويمكن أن لا يكون موضوعاً».[٦٩]

وقال السّيوطي: «وقد جمع في ذلك الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً، فأكثر فيه من إخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح، كما نبّه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصّلاح في علوم الحديث وأتباعه».[٧٠]

وفيه: «واعلم أنه جرت عادة الحفّاظ كالحاكم وابن حبّان والعقيلي وغيرهم أنهم يحكمون على حديث بالبطلان من حيثيّة سند مخصوص، لكون راويه اختلق ذلك السند لذلك المتن، ويكون ذلك المتن معروفا من وجه آخر، ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الراوي يجرحونه به، فيغترّ ابن الجوزي بذلك ويحكم على المتن بالوضع مطلقاً ويورده في كتاب الموضوعات، وليس هذا بلائق، وقد عاب عليه الناس ذلك، آخرهم الحافظ ابن حجر...».

وفي الكتاب المذكور، في تحقيق حديث «من قرأ آية الكرسي دبر كلّ صلاة...»

قال: «وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث المشكاة: غفل ابن الجوزي فأورد هذا الحديث في الموضوعات، وهو أسمج ما وقع له...»[٧١]

---

(٦٧) الباعث الحثيث: ٧٥.

(٦٨) فتح المغيث ١ / ٢٣٦.

(٦٩) فتح المغيث ١ / ٢٣٧.

(٧٠) اللآلي المصنوعة ١ / ٢.

(٧١) اللآلي المصنوعة ١ / ٢٣٠.

وبالإضافة إلى ما تقدّم: فإن كبار الحفاظ والعلماء أبطلوا بالأدّلة القاطعة دعوى ابن الجوزي، وانتقدوا إيداعه حديث أنا مدينة العلم في الموضوعات، نكتفي هنا بذكر أسمائهم:

١. الحافظ صلاح الدين العلائي.

٢. الحافظ بدر الدين الزركشي.

٣. شيخ الإسلام الحافظ العسقلاني.

٤. الحافظ السخاوي.

٥. الحافظ السيوطي.

٦. الحافظ السمهودي.

٧. الحافظ ابن عرّاق.

٨. الحافظ ابن حجر المكّي.

٩. العلاّمة مجد الدين الفيروزآبادي.

١٠. العلاّمة المتقي الهندي.

١١. العلاّمة القاري.

١٢. العلاّمة المنّاوي.

١٣. العلاّمة الشيخ عبد الحق الدهلوي.

١٤. العلاّمة الزرقاني.

١٥. العلاّمة البدخشاني.

١٦. العلاّمة محمد صدر العالم.

١٧. العلاّمة الأمير الصنعاني.

١٨. العلاّمة الصبان المصري.

١٩. العلاّمة القاضي ثناء الله الهندي.

٢٠. قاضي القضاة الشوكاني.

٢١. العلاّمة الميرزا حسن علي المحدّث.

٢٢. العلاّمة ولي الله اللكهنوي.

٢٣. العلاّمة المولوي حسن الزمان.

٢٤. العلاّمة الدمنتي الشّاذلي.

وعن الشّيخ تقيّ الدين ابن دقيق العيد: «هذا الحديث لم يثبتوه».

أقول:

إنّ هذا الكلام بعيد عن الصدق والصّواب غاية البعد، فقد علمت فيما تقدّم إثبات كبار المحدّثين وأعاظم المسندين ومشاهير الحفاظ المعتمدين هذا الحديث الشريف، في كتبهم المعتبرة وأسفارهم المعتمدة، مصرّحين بصحته أو حسنه أو ثبوته عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما أنّ جماعة كبيرة منهم وصفوا سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام بـ «باب مدينة العلم» و«باب مدينة الحكم والعلوم» وأمثال ذلك، كما نظم آخرون منهم هذه المأثرة في أشعارهم...

فهل يبقى مع هذا كلّه وزن لقول هذا الرّجل «هذا الحديث لم يثبتوه»؟! وهل يجوز لأحد أن يحتجّ بمثل هذا الكلام؟! ومن هنا ترى إعراض جماعة من محققيهم عن هذا الكلام مع ذكرهم له، كالزركشي في (اللآلي المنثورة) والسخاوي في (المقاصد الحسنة) والسيوطي في (الدرر المنتثرة) والقاري في (المرقاة)...

الكلام على رأى النووى

وأمّا محيي الدين النواوي، فالواقع أنّه قد قدح في حديث «أنا دارالحكمة وعليّ بابها»، وهذا نصّ كلامه «وأمّا الحديث المروي عن الصنابحي عن علي قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي رواية: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فحديث باطل، رواه الترمذي وقال: هو حديث منكر، وفي بعض النسخ: غريب، قال: ولم يروه من الثقات غير شريك، وروي مرسلاً».[٧٢]

فظهر أنّ قدحه متوجّه في الأصل إلى حديث «أنا دار الحكمة»، غير أنّه توهّم أنّ حديث «أنا مدينة العلم» رواية من روايات ذاك الحديث، ولا يخفى سقوط هذا التوهّم على من لاحظ روايات المحدثين وطرق الحديثين المذكورين في مختلف الكتب والأسفار، لأنّ كلاً منهما قد روي وأخرج فيها بطرق وأسانيد كثيرة خاصة به، بحيث لا يلزم من القدح في أحدهما القدح في الآخر...

على أنّ حديث «أنا دار الحكمة وعليّ بابها» حديث ثابت، قد أخرجه جهابذة الحديث وأعلام الحفاظ والعلماء، فدعوى بطلانه ساقطة.

الكلام على رأى الذهبي

وأمّا شمس الدين الذّهبي، فإنّه وإن قدح في حديث مدينة العلم غير أنّه لا يلتفت ا لى قدحه ولا يعبأ به، لوجوه:

١. انحراف الذّهبي وتعصّبه

لقد اشتهر الذهبي بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وتعصبّه عليهم ونصبه العداء لهم.

---

(٧٢) تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٨/١.

٢. تحقيق العلائي

وقد تعرّض الحافظ العلائي لقدح الذهبي وردّ عليه الردّ الصريح وحقّق هذا الحديث الصّحيح، وهذا نصّ كلامه على ما نقله السيوطي في (نفع قوت المغتذي) حيث قال: «وقال الحافظ صلاح الدين العلائي في أجوبته: هذا الحديث ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدّة، وحكم ببطلان الكلّ، وكذلك قال بعده جماعة منهم الذهبي في الميزان وغيره.

والمشهور به رواية أبي الصّلت عبد السلام بن صالح الهروي، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعاً، وعبد السلام هذا تكلّموا فيه كثيراً، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني وابن عدي: متّهم، زاد الدارقطني: رافضي، وقال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق، وضرب أبو زرعة على حديثه.

ومع ذلك فقد قال الحاكم: حدّثنا الأصم، حدثنا عباس ـ يعني الدوري ـ قال: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت فقال: ثقة، فقلت: أليس قد حدّث عن أبي معاوية حديث أنا مدينة العلم؟ فقال: قد حدّث به محمد ين جعفر الفيدي ـ وهو ثقة ـ عن أبي معاوية، وكذلك روى صالح جزرة أيضاً عن ابن معين. ثمّ ساقه الحاكم من طريق محمد بن يحيى بن الضريس ـ وهو ثقة حافظ ـ عن محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية. وقال أبو الصّلت أحمد بن محمد بن محرز: سألت يحيى ابن معين عن أبي الصلت فقال: ليس ممّن يكذب، فقال: له في حديث أبي معاوية، أنا مدينة العلم، فقال: هو من حديث أبي معاوية، أخبرني ابن نمير قال: حدّث به أبو معاوية قديما ثمّ كفّ عنه، وقال: كان أبو الصلت رجلاً موسراً يطلب هذه الأحاديث ويلزم المشايخ.

قلت: فقد برئ أبو الصّلت عبد السلام من عهدته، وأبو معاوية ثقة مأمون من كبار الشيوخ وحفّاظهم المتّفق عليهم، وقد تفرّد به عن الأعمش فكان ماذا؟ وأيّ استحالة في أن يقول النّبي صلّى الله عليه وسلّم مثل هذا في حقّ علي؟ ولم يأت كلّ من تكلّم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن يحيى بن معين، ومع ذلك فله شاهد...».

٣. ردّ ابن حجر العسقلاني على الذهبي

وقد بلغت دعوى الذهبي هذه من البطلان حدّاً حتى ردّ عليها الحافظ ابن حجر العسقلاني، وتعقّبه بكلامه الحق الحقيق بالقبول، ولنورد أوّلاً نصّ كلام الذهبي في الميزان:

قال «جعفر بن محمد الفقيه، فيه جهالة، قال مطين: حدثنا جعفر، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس [قال]: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها [و] هذا موضوع».[٧٣]

فقال ابن حجر: «هذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم، أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصل، فلاينبغي أن يطلق القول عليه بالوضع».[٧٤]

---

(٧٣) ميزان الاعتدال ٤١٥/١.

(٧٤) لسان الميزان ١٢٢/٢.

٤. ردّ ابن حجر المكي عليه

وردّ ابن حجر المكّي ـ على ما هو عليه من التعصّب والتعنّت ـ على القول بوضع الحديث بعد أن نسبه إلى جماعة ـ منهم الذهبي في ميزانه ـ وهذا نصّ كلامه: «وهؤلاء وإن كانوا أئمّة أجلاّء، لكنّهم تساهلوا تساهلاً كثيراً كما علم مما قرّرته، وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرّر أنّ رجاله كلّهم رجال الصحيح إلاّ واحد فمختلف فيه؟! ويجب تأويل كلام القائلين بالوضع بأن ذلك لبعض طرقه لا لكلّها، وما أحسن قول بعض الحفاظ في أبي معاوية أحد رواته المتكلّم فيهم بما لا يسمع: هو ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفّاظهم، وقد تفرّد به عن الأعمش، فكان ما ذا؟ وأيّ استحالة في أنّه صلّى الله عليه وسلّم يقول مثل هذا في حق علي؟...»

هذا كلامه في المنح المكية في شرح الهمزيّة[٧٥]

وقال في فتاواه: «وأمّا حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فهو حديث حسن بل قال الحاكم صحيح، وقول البخاري ليس له وجه صحيح، والترمذي منكر، وابن معين كذب ـ معترض وان ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وتبعه الذهبي وغيره على ذلك».

٥. إعراض جماعة أخرين وردّهم عليه

ولقد أعرض جماعة آخرون عن قدح الذهبيّ وردّوا عليه، مثبتين للحديث ومستشهدين بأجوبة العلائي وابن حجر وغيرهما على ذلك ومنهم:

١. السيوطي في (اللآلي المصنوعة) و(جمع الجوامع) و(قوت المغتذي).

٢. السخاوي في (المقاصد الحسنة).

٣. المتقي في (كنز العمال).

٤. عبد الحق الدهلوي في (اللمعات في شرح المشكاة).

٥. القاري في (المرقاة في شرح المشكاة).

٦. المناوي في (فيض القدير).

٧. محمد صدر العالم في (معارج العلى).

٨. محمد الأمير الصنعاني في (الروضة النديّة في شرح التحفة العلوية).

٩. الدمنتي الشاذلي في (نفح قوت المغتذي).

وقد تقدمت نصوص عباراتهم سابقا.

٦. من آيات علوّ الحق

---

(٧٥) شرح القصيدة الهمزية: ٣٠٤.

ومن آثار علوّ الحق وآياته رواية الذهبي هذا الحديث بسنده، عن سويد بن سعيد، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ضمن ما وقع له من عالي حديثه، فقد قال بترجمة سويد من ميزانه ما نصّه: «قلت: عاش سويد مائة سنة، ومات في سنة أربعين ومائتين، وقع لنا من عالي حديثه:

أخبرنا أبو المعالي الأبرقوهي، أنا المبارك بن أبي الجود أنا أحمد ابن أبي غالب، أنا عبد العزيز بن علي، أنا أبو طاهر الذهبي، ثنا عبد الله بن محمّة، ثنا سويد بن سعيد، ثنا زياد بن الربيع، عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد قال: نظرت في أعمال المرء، فإذا الصّلاة تجهد بالبدن ولا تجهد بالمال، وكذلك الصيام، والحج يجهد المال والبدن، فرأيت أنّ الحجج أفضل من ذلك كلّه.

أخبرنا محمد بن عبد السّلام، عن زينب بنت أبي القاسم، أنا عبد المنعم بن القشيري، أنا أبو سعيد الأديب، ثنا محمد بن بشير، ثنا أبو لبيد السرخسي، ثنا سويد، ثنا علي بن مسهر، عن داود، عن عكرمة عن ابن عباس قال: صاحب الذبح إسحاق، وقوله: وبشرناه بإسحاق أي بنبوّته.

وبه نا علي، عن أشعب، عن ابن سيرين، عن الجارود العبدي قال: أتيت النبي صلّى الله عليه وسلّم أبايعه فقلت: إني على دين. وإني إن تركت ديني ودخلت في دينك لا يعذّبني الله في الآخرة؟ قال: نعم.

وبه ثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن عبيد بن أبي الجحد قال: سئل جابر عن قتال علي، فقال: ما يشكّ في قتاله إلاّ كافر.

وبه ثنا شريك، عن سلمة بن كهيل، عن الصنابحي، عن علي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت باب المدينة».[٧٦]

هذا كلام الذهبي في الميزان، وبعد هذا البيان، وغبّ ذلك التبيان، لا يخلد إلى قدح هذا الحديث إلاّ من غلب على قلبه العناد وران، واستهام به الغرور.

الكلام على رأى الجزري

وأمّا نسبة القدح في حديث مدينة العلم إلى شمس الدين الجزري، فكذب فاضح وفرية واضحة.

فلقد روى الجزري حديث أنا مدينة العلم في كتابه (أسنى المطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) وبالغ في إثباته وتحقيقه، وهذه عبارته فيه بلفظها:

«أخبرنا الحسن بن أحمد بن هلال ـ قراءة عليه ـ عن علي بن أحمد ابن عبد الواحد، أخبرنا احمد بن محمد بن محمد ـ في كتابه من أصبهان ـ أخبرنا الحسن بن أحمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، أخبرنا الحسن بن سفيان، أخبرنا عبد الحميد بن بحر، أخبرنا شريك، عن سلمة بن كهيل، عن الصنابحي، عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي

(٧٦) ميزان الاعتدال: ٢ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ بتقديم وتأخير في العبارة. وقد استهواه الشيطان، والله العاصم عمّا يورث سخط الرحمن ويقود إلى لظى النيران...

بابها. رواه الترمذي في جامعه عن إسماعيل بن موسى، حدّثنا محمد بن عمر الرومي، حدثنا شريك، عن سلمة بن كهيل، عن سويد بن غفلة، عن الصنابحي عن علي وقال:

حديث غريب، ورواه بعضهم عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي، قال:

ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات غير شريك، وفي الباب عن ابن عباس. انتهى.

قلت: ورواه بعضهم عن شريك عن سلمة ولم يذكر فيه عن سويد، ورواه الأصبغ بن نباتة والحارث عن علي نحوه، ورواه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ولفظه: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه أيضا من حديث جابر بن عبد الله ولفظه: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب».[٧٧]

هذا، وقد قال الجزري في صدر كتابه المذكور: «وبعد، فهذه أحاديث مسندة ممّا تواتر وصحّ وحسن من أسنى مناقب الأسد [اسد الله] الغالب، مفرّق الكتائب ومظهر العجائب، ليث بني غالب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ـ كرّم الله تعالى وجهه ورضي عنه وأرضاه ـ أردفتها بمسلسلات من حديثه وبمتّصلات من روايته وتحديثه، وبأعلى إسناد صحيح إليه، من القرآن والصحبة والخرقة التي اعتمد فيها أهل الولاية عليه، نسأل الله تعالى أن يثيبنا على ذلك ويقرّبنا لديه».

وقال بعد إيراد أحاديث المناقب التي أشار إليها «قلت: فهذا نزر من بحر، وقل من كثر، بالنسبة إلى مناقبه الجليلة ومحاسنه الجميلة، ولو ذهبنا لاستقصاء ذلك بحقّه لطال الكلام بالنسبة إلى هذا المقام، ولكن نرجو من الله تعالى أن ييسّر إفراد ذلك بكتاب نستوعب فيه ما بلغنا من ذلك، والله الموفق للصّواب».

(٧٧) أسنى المطالب: ٦٩.

الفصل الخامس

في دحض المناقشات في دلالات الحديث

وتكلّم بعضهم في دلالات الحديثٌ، ولا بأس بالتعرّض لما قالوا ودفعه:

١. كثرة أبواب المدينة

فقد ذكر بعضهم في مقام الجواب عن الاستدلال بحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها أن للمدينة أبواباً عديدة، فكما أن عليّاً باب من أبواب مدينة العلم، كذلك سائر الخلفاء بل الأصحاب كلّهم. وقد اختلفت عباراتهم في توجيه هذه الشّبهة:

فقيل: إنّ المدينة لا تخلو من أربعة أبواب، لأنّها مبنيّة على أربعة أركان وأسباب.

وقيل: إذا كانت مدينة مثل النبي صلّى الله عليه، فليس بعجب أن يكون لها أبواب كثيرة.

وقيل: ليس دار الجنة بأوسع من دار الحكمة، ولها ثمانية أبواب

وقيل: ولكلّ من الخيرات والمبرات والأنوار والأسرار التي أشرقت من شمس النبوة لها مظاهر ومجالي متعدّدة بل لا تعدّ ولا تحصى.

والجواب:

إنه ليس لمدينة العلم إلاّ باب واحد وهو علي عليه السلام، وما ذكر من أنها لا تخلو من أربعة أبواب دعوى بلا دليل، فإنّها قد تخلو من أربعة أبواب، ولا يشترط أن تكون مبنيّة على أربعة أركان وأسباب، ولو سلّم ذلك، فلا يشترط أن يكون في كلّ ركن باب، ومع التسليم، فكيف يجوز قياس مدينة العلم بالمدينة المادية الظاهريّة؟

ثم إنّ قول هذا القائل:

«وإذا كانت مدينة مثل النبي صلّى الله عليه، فليس بعجب أن يكون لها أبواب كثيرة، لأن مدينة مثلها مثل النّبي عليه السلام فليس بعجب أن يكون لها طول وسعة وعرض كأوسع مدينة في الدنيا، وليس بعجب أن يكون لها أبواب كثيرة».

يناقض كلامه المردود المتقدّم، لأنّه زعم هناك «إنّ المدينة لاتخلو من أربعة أبواب، لأنّها مبنيّة على أربعة أركان وأسباب...» فجعل الخلفاء الأربعة الأبواب المؤدّية إلى المدينة، وهنا يقول: «فليس بعجب أن يكون لها أبواب كثيرة...» ثم ذكر تسعة أشخاص جعلهم الأبواب الموصلة إليها، مستنداً إلى روايات موضوعة سيأتي بيان حالها.

وإنّ سعة الدار لا تستلزم أبداً أن يكون لها أكثر من باب، كما ادّعاه الطيبى وقال «اذ ليس دار الجنة بأوسع من دار الحكمة، ولها ثمانية أبواب»، وإنّما اللاّزم اتّساع باب الدار بما يتناسب وسعتها، ولا ريب في سعة باب دار الحكمة بما يتناسب وسعة دار الحكمة، ولقد بلغت سعة هذا الباب حدّاً تقصر عنه عقول الحكماء وعبارات البلغاء، وبه صرّح ابن حجر المكي حيث قال:

«مما يدلّ على أنّ الله سبحانه اختصّ علياً من العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلّى الله عليه وسلّم: أقضاكم علي. وهو حديث صحيح لا نزاع فيه، وقوله: أنا دار الحكمة.

وفي رواية: مدينة العلم ـ وعلي بابها»[٧٨]

ثم إنّ الأخبار الكثيرة الواردة في كتب أهل السنة تدلّ على أن تعدّد أبواب الجنة وتعيينها هو بحسب أفعال الخير الصادرة من أهل الجنة في دار الدنيا، وليس ذلك بحسب سعة الجنة حتى يقال بأن دار الجنة ليست بأوسع من دار الحكمة، ولها ثمانية أبواب، فيلزم أن يكون لدار الحكمة ثمانية أبواب كذلك أو أكثر...

هذا، وإنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ورد عنه تمثيل نفسه الشريفة بـ «دار الجنّة»، كما ورد التمثيل بـ «دار الحكمة»، ولا ريب في أنّه كان يعلم بأن للجنة ثمانية أبواب، وأنّ نفسه الشريفة أوسع من دار الجنّة، وهو مع ذلك جعل أمير المؤمنين عليه السلام بمفرده باب دار الجنّة. فظهر بطلان كلام الطّيبي، ولعلّه لم يقف على الحديث المذكور.

ولو كان لدار الحكمة أبواب عديدة، فليس تلك الأبواب إلاّ الأئمة المعصومون عليهم السلام، لأنهم أبواب العلم، وأنّهم الموصوفون بـ «الباب المبتلى به من أتاهم نجا ومن أباهم هوى» وأنّهم الذين قال فيهم: «مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من دخله غفر له» ولم يرد في حقّ غيرهم شيء من هذا القبيل، بل إن غيرهم لا يليق لهذا المقام، للمفضولية وعدم العصمة وغيرهما من الموانع.

ولو كان الخلفاء الثلاثة الأبواب الثلاثة الأخرى للمدينة، لذكر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك كما ذكر علياً عليه السلام، بل كان عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يذكرهم قبله ـ على ما يدّعي العاصمي ـ وإلاّ لزم ترجيح المرجوح في الذكر وترك ذكر الراجح والأسبق، وهو غير جائز.

وحيث لم يذكر صلّى الله عليه وآله وسلّم باباً للمدينة سوى أمير المؤمنين عليه السلام، ظهر بطلان ما زعمه العاصمي في معنى الحديث.

وبما ذكرنا يظهر لنقّاد الكلام إن ما تفوّه به العاصمي ـ على أثر حبّ الشيوخ الثّلاثة ـ من الكلام الباطل العاطل في نفسه، يستلزم نسبة الظلم إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والعياذ بالله.

وأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في ذيل الحديث ـ بإتيان الباب، وهو لا يريد من «الباب» إلاّ «علياً عليه السلام»، بل لقد صرّح باسمه في بعض ألفاظ الحديث بقوله: «فمن أراد بابها فليأت علياً»

---

(٧٨) المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية: ١٢٠.

ومن الواضح جيّداً: إنّه لو كان الخلفاء الثلاثة قد بلغوا هذه المرتبة لذكرهم صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ذكره، إذ لو كان ثمّة مصلحة لعدم ذكرهم في صدر الحديث فلا أقل من الإرجاع إليهم والأمر بإتيانهم في ذيله! وإذ لم يشر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى هذا الأمر، واقتصر على ذكر علي عليه السلام، كيف يجوز أن يقال بأنّهم كانوا الأبواب الثلاثة؟ وهل هذا إلاّ مجرّد الإفك والافتراء؟

ولو فرض وجود مصلحة لترك الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكر كون الثلاثة الأبواب الأخرى لمدينة العلم في هذا الحديث، كان من اللاّزم أن يصرّح بهذا المعنى في حديث آخر، ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد.

ومن هنا أيضاً يظهر أنّ دعوى العاصمي ذلك ليس إلاّ من الهواجس النفسانية.

وبالتّالي، فإنّ هذا الوجه الذي ذكره العاصمي منقوض بما قاله هو في الجواب عمّا يذهب إليه الشيعة من أنه «إن كان الأمر على ما قالوا لما كان يوصل إلى العلم والأحكام والحدود وشرائع الإسلام إلاّ من جهته، ولكان فيه إبطال كلّ حديث لم يكن المرتضى طريقه، ولكان فيه إبطال كثير من شرائع الدين التي أجمعت عليها الامّة باليقين» فإنّ هذا الكلام بعينه يتوجّه إلى الوجه الذي اختاره، ولا سيّما وأنّ أهل السّنة يأخذون عن كلّ من دبّ ودرج من أصحابهم، وأنّ روايات غير الخلفاء في مصادر الحديث عندهم أكثر بكثير من روايات الخلفاء.

ومن الطّريف قول العاصمي بعدئذ: «وهذا وإن كان صحيحاً في المعنى والحكم، فإن تخصيص النبي عليه السلام إيّاه بلفظة باب مدينة العلم يدلّ على تخصيص كان له في العلم والخبرة وكمال في الحكمة ونفاذ في القضيّة، وكفى بها رتبة وفضيلة ومنقبة شريفة جليلة». فإنه بعد ما حاول تأويل الحديث وتوجيهه بما ذكره لم يجد بدّاً من الاعتراف بتخصيص أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الفضيلة، لعدم وصف أولئك بلفظ «باب مدينة العلم» أو نحوه، لا في هذا الحديث ولا في غيره من الأحاديث، فاعترف بدلالة هذا التخصيص «على تخصيص كان له في العلم والخبرة وكمال في الحكمة ونفاذ في القضية، وكفى بها رتبة وفضيلة ومنقبة شريفه جليلة» وهذا يفيد أعلمية الامام عليه السلام.

فهذا الحديث يدلّ على إمامته من جهة دلالته على الأعلمية. كما يدلّ على الامامة من جهة دلالته على أنّه لا يوصل إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ من جهته عليه الصلاة والسلام.

فكلام العاصمي هذا يتضمّن وجهاً آخر لدلالة حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام. والله يحقّ الحق بكلماته، ويبطل الباطل بقواهر حججه وبيّناته.

وأمّا قول الشيخ عبدالحق الدهلوي:

قيل: لا شك أنّ العلم قد جاء منه صلّى الله عليه وسلّم من قبل باقي الصحابة، وليس بمنحصر في علي المرتضى رضي الله عنه، فلا بدّ أن يكونوا أبواب العلم.

فمردود من وجوه:

أحدها: دعوى مجيء العلم من قبل باقي الصحابة باطلة بالضّرورة، فقد كان في الصحابة من لا حظّ له من العلم ولا كلمة، وعليك بمراجعة أسامي الصحابة في (الإستيعاب) و(أسد الغابة) و(الإصابة) وأمثالها ليتّضح لك واقع الأمر.

والثاني: إنه لا يكفي نقل شيء من العلم عن رجل لأن يكون باباً للعلم، لما قرّرنا بالتفصيل من أنّ باب مدينة العلم محيط بجميع علم المدينة، وتحقّق هذه المرتبة لجميع أفراد الأصحاب من المستحيلات.

والثالث: إنه ليس كلّ ما نقل عن كلّ صحابي بعلم، فبعض ما يرويه أهل السنّة عن الصحابة وأودعوه في أسفارهم وجوامعهم ليس بعلم، فإنّ كثيراً من الأشياء المنقولة عندهم تكذّبها الآيات القرآنية وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام بصراحة، ومن الواضح أنّ نقلة هكذا أشياء لا يعدّون علماء ولا يكونون أبواباً للعلوم.

بل كان فيهم أشخاص معروفون بالكذب والاختلاق كأبي هريرة وأمثاله، ومنافاة الكذب والافتراء على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لبابيّة مدينة العلم، وبعد المتّصف بهذه الصفة عن مدينة العلم في غاية الوضوح.

والرابع: إن الصحابة كلّهم ـ كما صرّح به العجيلي في (ذخيرة المال) ـ كانوا يسألون الامام أمير المؤمنين عليه السلام، ويرجعون إليه في القضايا والأحكام، ولا سيّما الثلاثة منهم، فإن رجوعهم إليه في نهاية الشّهرة والتواتر، فكيف يكونون أبواباً لمدينة العلم كما هو سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام؟! بل إنّ بعضهم اشتهر ـ على العكس من ذلك ـ بالجهالات الفاضحة حتى ضرب به المثل، فالقول بأنّ العلم قد جاء منه صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبل باقي الصّحابة مكابرة واضحة.

٢. عدم دلالة الحديث على الأعلمية

وزعم غير واحد منهم عدم دلالة الحديث على الأعلميّة، بين قائل بأنّ قوله صلّى الله عليه وآله: «فمن أراد العلم فليأت الباب» لا يقتضي الأعلمية، فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغّ للناس، بخلاف الأعلم.

وقائل: أنّ أعلم الصحابة هم الخلفاء الراشدون.

وقائل: بأن هذا الحديث يتضمّن ثبوت العلم لعلي رضي الله عنه، ولا شكّ أنه بحر علم زاخر لا يدرك قعره، إلاّ أنّه لا يتضمّن ثبوت الرجحان على غيره، بدليل ثبوت العلم لغيره على وجه المساواة.

والجواب:

أنّ حديث مدينة العلم يدلّ على أعلميّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو أعلم الخلائق بعد النبي صلّى الله عليه وآله، حتّى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، فهذه دلالة حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وقد شهدت بذلك كلمات كثير من أعلام أهل السنّة، وكان منها عبارات ابن حجر المكي نفسه في كتابه (المنح المكية)، فمن الغريب بعدئذ دعواه في (الصواعق) أعلميّة من جهل حتى معنى «الأب» و«الكلالة»، استناداً إلى دعاوى فارغة وأكاذيب واضحة كما سيأتي، فإذن، من الحق أن يقال: علي أعلم. فقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فمن أراد العلم فليأت الباب» يقتضي أعلمية الامام عليه السلام، وإلاّ لزم إرجاعه الناس إلى غير الأعلم مع وجود الأعلم، وهذا غير صحيح شرعاً وعقلا... ويخالف سيرة العقلاء والعلماء...

وأيضاً: هو ينافي مقتضى نصح النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمّته، مع أنه أنصح الخلائق لها...

وأيضاً: هو ظلم بالنسبة إلى الأعلم.

وأيضاً: هو ترجيح للمرجوح، وذلك لا يكون من أدنى المتشرّعين فضلا عن شارع دين الإسلام عليه وآله الصلاة والسّلام.

وأيضاً: في قوله: «فمن أراد العلم فليأت الباب» دلالة ظاهرة على حصر المرجعيّة بالباب، وذلك يقتضي الأعلميّة، وإلاّ فإنّ الإرجاع إلى غير الأعلم مع وجود الأعلم قبيح كما تقدّم، فكيف بحصر المرجعيّة فيه؟

ثم إن قول ابن حجر في توجيه الإرجاع إلى غير الأعلم: «فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس» يردّه: أنّ باب مدينة العلم، والحائز لجميع علوم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما هو حق الباب، والمقدّم على غيره من حيث الإيضاح والبيان، هو الأعلم من غيره بالضرورة لاغيره، ودعوى انفكاك «الأعلمية» عن هكذا شخص مكابرة واضحة...

فظهر أنّ ما ذكره ابن حجر في توجيه دعواه هو في الحقيقة دليل على بطلان مدّعاه، وهذا من جلائل آثار علوّ الحق والصواب.

على أنّه لا يخفى ما في كلامه من دعوى وجود الإيضاح والبيان عند أبي بكر، لكن للإمام عليه السلام زيادة عليه!!

وأمّا «التفرغ للناس»، فما الدليل على أنّ تفرّغ الامام عليه السلام للناس على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أكثر من تفرّغ أبي بكر؟ ومن ادّعى فعليه البيان... بل إذا نظرت في تاريخ الرجلين وسيرتهما رأيت الإمام عليه السلام خائضاً في الحروب والمغازي والبعوث والسّرايا... بخلاف أبي بكر... فقد كان في معزل عن تحمّل هذه المكاره لخوره وجبنه، فأيهما كان المتفرّغ؟! إذن، ليس الإرجاع في العلوم بسبب التفرّغ للناس، بل الملاك هو الأعلميّة كما هو مقتضى السيرة العقلائيّة... هذا بالنسبة إلى زمن الحياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأمّا بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم، حيث كان أبو بكر خليفة والامام عليه السلام جليس بيته، أليس من أهمّ وأجلّ وظائف الخليفة وأعماله تعليم الأمة ونشر العلوم الدينيّة بين الناس؟ فهل يعقل أن يسند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر الخلافة عنه إلى شخص ثمّ يرجع الناس في أهمّ واجباته ووظائفه ـ مع كونه أعلم الناس ـ إلى غيره؟! بل الحق أنّ إرجاع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الأمة إلى الامام عليه السلام في أخذ العلم منه دليل واضح على إمامته، وبرهان لائح على خلافته، وإنّ ما كان منه عليه السلام من نشر علم الدين على عهد النبي وبعده على عهد حكومة الخلفاء من أقوى الأدلة على ذلك، وإن تغلّب القوم على الخلافة...

فالخليفة الحقيقي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من حفظ دينه ونشر علومه، وحلّ المشكلات والمعضلات.

ثم إنّ دعوى: «أنّ أعلم الصحابة هم الخلفاء الراشدون...» باطلة من وجوه أيضاً.

أمّا أولاً: فإن الثلاثة ليسوا من الخلفاء الراشدين عن رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله المعصومين.

وأمّا ثانياً: فلأن أحداً من أهل الإنصاف لا يرتضي القول بأعلميّة الثلاثة من: سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وابن عباس، وحذيفة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم من مشاهير الأصحاب... بل إنّ هؤلاء، بل ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وزيد بن ثابت وأضرابهم... أعلم من الثلاثة قطعاً... بل الحق أن الثلاثة لم يحصلوا على شيء من العلوم، وتلك آثار جهلهم بالأمور الواضحة مشهودة ومشهورة.

وأمّا ثالثاً: فلأنهم لو كانوا علماء لأفادوا وأفاضوا، وظهرت الآثار واشتهرت الشواهد على بلوغهم المراتب العلميّة في الموارد المختلفة، وانتشرت بواسطتهم أحكام الحلال والحرام، من غير أن يمنعهم عن ذلك الخلافة، بل إنه من أجلّ وأهمّ أعمال خليفة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. ألا ترى أنّ الإمام عليه السلام ـ على قصر مدّته ـ لم تشغله الحروب عن نشر العلوم الجليلة والمعارف السّامية، ولقد صدق ضرار حين قال في وصفه عليه السلام: «يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه «كما رواه ابن عبد البر القرطبي بترجمته عليه السلام في (الاستيعاب).

وأمّا رابعاً: سلّمنا أنّ تقيّدهم بأمر الخلافة منعهم عن الإفادة، فما الذي منعهم عنها في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وما الذي منع عمر وعثمان عنها أيام أبي بكر؟ وما الذي منع عثمان عنها أيام عمر؟ نعم إنهم يقولون بأن عمر وعثمان كانا يفتيان في خلافة أبي بكر، وأن عثمان كان يفتي في خلافة عمر... ، قال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، نا جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: إن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه، دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكلّ هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبو بكر على ذلك، ثمّ ولّي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، وكانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان وأبي وزيد».[٧٩]

لكن ما السّبب في عدم ظهور آثار أعلميّة عمر وعثمان للمستفيدين والمستفتين بل لغير هم؟ بل لم تظهر آثار عالميّتهم، ولم نعثر على ما يدلّ على رسوخ قدم لهم في العلم...

وقد رووا أيضاً: إنّ عمر كان يشغل منصب القضاء على عهد أبي بكر، روى ابن عبد البرّ بن إبراهيم النخعي: «قال: أوّل من ولّي شيئاً من أمور المسلمين عمر بن الخطاب، ولاّه أبو بكر القضاء، وكان أوّل قاض في الإسلام، وقال: اقض بين الناس فإني في شغل»،[٨٠] وروى الطبري: «واستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب، فكان على القضاء أيام خلافته».[٨١] وروى ابن الأثير: «وفيها استقضى أبو بكر عمر بن الخطاب، وكان يقضي بين الناس خلافته كلّها»،[٨٢]

والقضاء من أحسن أسباب ظهور الآثار، فأين قضايا عمر الدالّة على سعة علمه فضلا عن أعلميّته؟ ولم يذكروا قضية واحدة ـ ولو مفتعلة ـ من قضاياه على عهد أبي بكر، تدلّ على عالميّته فضلا عن أعلميّته؟

بل إنهم يروون اشتغال الثلاثة بالقضاء أيّام خلافتهم... قال السيوطي: «وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك الأمر سنّة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع عليه النفر كلّهم يذكر من

---

(٧٩) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٥٠.

(٨٠) الاستيعاب ٣ / ١١٥٠.

(٨١) تاريخ الطبري حوادث سنة ١١.

(٨٢) الكامل في التاريخ، حوادث سنة ١١.

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنّة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به. وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنّة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به وإلاّ دعا رؤوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به».

وقد رواه المتقي في (كنز العمال) والمحبّ الطبري ـ قبل السيوطي ـ في (الرياض النضرة).

ولكن أين آثار أعلميّتهم؟ بل إنّ أكثر تلك الأخبار يشتمل على شواهد بيّنة على جهلهم وبلادتهم...

وأمّا خامساً: فرضنا أنّ تقيّدهم بأمر الخلافة منعهم عن الإفادة ونشر العلوم والآثار الدالّة على أعلمّيتهم، لكنّ التقيّد بأمر الخلافة لا يوجب ظهور آثار الجهل والضلال منهم، فإذا كان من المعقول اختفاء أعلميّة شخص أو علم عالم بوجه من الوجوه، فإن شيئاً لا يكون سبباً في ظهور جهله، بل لا يعقل ذلك مع فرض عالميّته فضلا عن كونه الأعلم، لأن العلم والجهل ضدّان، مع أنّ آثار الجهل المنقولة عنهم كثيرة جدّاً بحيث لا تقبل الستر والكتمان.

هذا، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها، يتضمن رجحان علم الإمام عليه السلام على علم غيره، لا على ثبوت العلم له عليه السلام كما زعم الأعور، لأنّ من بلغ في العلم مرتبة جعله النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باباً إلى نفسه ـ وهو مدينة العلم ـ يكون أعلى مرتبة وأرجح علماً من غيره، وهذا ظاهر كلّ الظهور.

ويدلّ على إحاطة أمير المؤمنين عليه السلام وعلمه بجميع علوم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورجحان علم النبيّ لا يشك فيه أحد، فمن كان عالماً بجميع علومه يكون علمه راجحاً على غيره بالضرورة.

ويدل على أعلمية الامام عليه السلام، كما اعترف به جماعة من أهل السنة الأعلام، أمثال أبي بكر محمد بن علي الخوافي، وشهاب الدين أحمد، وابن روزبهان الشيرازي، وعبد الرءوف المناوي، وابن حجر المكي، وغيرهم، وعليك بمراجعة كلمات هؤلاء وغيرهم لئلاّ تغترّ بأقاويل الأعور.

ثم دعوى ثبوت العلم لغيره على وجه المساواة، من الأباطيل الواضحة، فإنّ اختلاف مراتب الصحابة في العلم من الأمور الضروريّة عند كلّ ذي فهم فضلا عن العلماء الأعلام.

وكيف يتمكّن الأعور من إثبات العلم لكلّ الصحابة، على وجه المساواة أو التفاوت؟ وأي دلالة في حديث النجوم الموضوع على ذلك؟ ومن هنا ترى الكردي ينزّل الحديث على المجتهدين من الصحابة فيقول: «ثم إن لم يوجد منصوصاً عليه فيهم، رأيناه قد أحالنا على الأخذ بقول المجتهدين من الصحابة رضي الله عنهم، وصوّب الجميع حتى نصّ على أنّ الآخذ بقول أيّهم كان مهتدياً».

ويقول نصر الله الكابلي في (الصواقع) عند ذكر حديث النجوم: «والمراد من الأصحاب من لازمه عليه السلام، من المهاجرة والأنصار وغيرهم، غدوة وعشية، وصحبه في السفر والحضر، وتلقّى الوحي منه طريّاً، وأخذ عنه الشريعة والأحكام وآداب الإسلام، وعرف الناسخ والمنسوخ، كالخلفاء الراشدين وغيرهم، لا كلّ من رآه مرة أو أكثر».

٣. كونه باب مدينة العلم لا يستلزم الامامة

وقال عبد العزيز الدهلوي في الباب الحادي عشر من التحفة في بيان أنواع أوهام الشيعة على زعمه: «النوع الثالث ـ أن يكون المطلوب شيئا، ونتيجة الاستدلال شيئاً آخر، لكنّهم يتوهّمون ويجعلونها عين المطلوب لكمال القرب والمجاورة بينها وبين المطلوب، وعلى هذا الأساس يتم أكثر استدلالات الشيعة، كما تقدّم بالتفصيل في مباحث الإمامة، من ذلك: أنّ الأمير باب مدينة العلم، وكلّ من كان باب مدينة العلم فهو الإمام، ومن جهة أنّ الإمام رئيس الأمة، والباب له رئاسة الدار بوجه من الوجوه، وإذا كان الأمير الباب فهو الإمام.

والحال أنّ كونه باب مدينة العلم أمر، وكونه الامام أمر آخر، وليس بين الأمرين اتّحاد ولا تلازم».

أقول:

وهذا الكلام مرفوض ومردود بوجوه كثيرة. نكتفي هنا بإيراد بعضها:

أحدها: دعوى عدم تفرقة الشيعة بين المطلوب والنتيجة زعم فاسد، فإنّ الشيعة أجلّ شأناً وأعظم قدراً من ذلك.

والثاني: دعواه أنّ أكثر استدلالات الشيعة من هذا القبيل، دعوى كاذبة، ويكفيك مراجعة استدلالاتنا في المواضع المختلفة من مباحث الإمامة.

والثالث: ما ذكره حول استدلال الشيعة بحديث أنا مدينة العلم باطل، فقد عرفت من بحوث كتابنا هذا حول حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» سنداً ودلالة، متانة استدلالاتنا، وتماميّة دلالة هذا الحديث على مطلوبنا.

والرابع: إنّ طريق استدلال الشيعة بحديث مدينة العلم موجود ومضبوط في كتبها، وليس طريق الاستدلال المبهم والمجمل الذي نسبه (الدهلوي) إليهم في شيء من مؤلّفاتهم، ونحن نورد هنا ـ مرّةً أُخرى ـ طريق الاستدلال عن بعض أصحابنا لترى خيانة الدهلوي وكذبه في هذه المقالة:

قال أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي بعد نقل الحديث عن المخالفين: «وهذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه كنّى عنه بالمدينة، وأخبر أن الوصول إلى علمه من جهة عليّ خاصة، لأنه جعله كباب المدينة الذي لا يدخل إليها إلاّ منه. ثم أوجب ذلك الأمر به بقوله: فليأت الباب. وفيه دليل على عصمته، لأنه من ليس بمعصوم يصحّ منه وقوع القبيح، فإذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً فيؤدّي إلى أن يكون عليه السلام قد أمر بالقبيح، وذلك لا يجوز. ويدلّ أيضاً على أنه أعلم الأمة، يؤيد ذلك ما قد علمناه من اختلافها ورجوع بعضها إلى بعض وغناءه عليه السلام عنها، وأبان عليه السلام ولاية علي عليه السلام وإمامته، وأنه لا يصح أخذ العلم والحكمة في حياته وبعد وفاته إلاّ من قبله وروايته عنه كما قال الله تعالى (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**)[٨٣]

وقال القاضي السيد نور الله التستري في (إحقاق الحق): «أقول: في الحديث إشارة إلى قوله تعالى (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**) وفي كثير من روايات ابن المغازلي تصريح بذلك، ففي بعضها مسنداً إلى جابر: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي بعضها مسنداً إلى علي عليه السلام: يا علي أنا المدينة وأنت الباب. كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلاّ من الباب. وروي عن ابن عباس: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. وعن

(٨٣) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٤.

ابن عباس أيضاً: أنا مدينة الجنة وعلي بابها فمن أراد الجنة فليأتها من بابها. وعن ابن عباس أيضاً بطريق آخر: أنا دارالحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

فهذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كنّى عن نفسه الشريفة بمدينة العلم ومدينة الجنة وبدار الحكمة، ثم أخبر أن الوصول إلى علمه وحكمته وإلى جنة الله سبحانه من جهة علي خاصة، لأنه جعله كباب مدينة العلم والحكمة والجنة التي لا يدخل إليها إلاّ منه، وكذّب عليه السلام من زعم أنه يصل إلى المدينة لا من الباب، وتشير إليه الآية أيضاً كما ذكرناه.

وفيه دليل على عصمته وهو ظاهر، لأنه عليه السلام أمر بالاقتداء به في العلوم على الإطلاق، فيجب أن يكون مأمونا عن الخطا.

ويدلّ على أنه إمام الأمة، لأنه الباب لتلك العلوم. ويؤيّد ذلك ما علم من اختلاف الأمة ورجوع بعض إلى بعض وغناءه عليه السلام عنها.

ويدلّ أيضاً على ولايته وإمامته عليه السلام وأنه لا يصح أخذ العلم والحكمة ودخول الجنّة في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ من قبله، ورواية العلم والحكمة إلاّ عنه لقوله تعالى (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**) حيث كان عليه السلام هو الباب. ولله درّ القائل:

مدينة علم وابن عمك بابها *** فمن غير ذاك الباب لم يؤت سورها

ويدلّ أيضاً على أن من أخذ شيئا من هذه العلوم والحكم التي احتوى عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من غير جهة علي عليه السلام كان عاصياً كالسارق والمتسّور، لأن السارق والمتسوّر إذا دخلا من غير الباب المأمور به ووصلا إلى بغيتهما كانا عاصيين. وقوله عليه السلام: فمن أراد العلم فليأت الباب، ليس المراد به التخيير، بل المراد به الإيجاب والتهديد، كقوله عزّ وجلّ (**فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ**)والدليل على ذلك أنه ليس هاهنا نبىّ غير محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو مدينة العلم ودارالحكمة، فيكون العالم مخيّراً بين الأخذ من أحدهما دون الآخر، وفقد ذلك دليل على إيجابه وأنّه فرض لازم. والحمد لله.

ثم لا يخفى على أولي الألباب أن المراد بالباب في هذه الأخبار الكناية عن الحافظ للشيء الذي لا يشذّ عنه منه شيء، ولا يخرج إلاّ منه ولايدخل عليه إلاّ به. وإذا ثبت أنه عليه السلام الحافظ لعلوم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وحكمته، وثبت أمر الله تعالى ورسوله بالتوصّل به إلى العلم والحكمة، وجب اتّباعه والأخذ عنه، وهذا حقيقة معنى الإمام، كما لا يخفى على ذوي الأفهام».

والخامس: لقد توهّم الدهلوي في هذه العبارة، فذكر أنّ الباب له رئاسة الدار، وقد كان عليه أن يقول هنا: باب المدينة له رئاسة المدينة، ألا يفرّق الدهلوي بين «الدار» و«المدينة»؟

والسادس: إن للدهلوي هنا غلطاً آخر، فإنّ للباب رئاسة على الداخلين والخارجين من المدينة أو الدار، لا على نفس المدينة أو الدار... وهذا مما لا يرتاب فيه عاقل... فهذا خطأ من الدهلوي في خطأ في خطأ.

والسابع: قد عرفت أنّ كونه عليه السلام باب مدينة العلم يثبت إمامته ومرجعيّته لجميع الخلائق في جميع العلوم، ... وكونه باب مدينة العلم بهذا المعنى متحد مع الإمامة كما لا يخفى.

٤. حمل الحديث على اختصاص الامام بالعلوم الباطنية والقضاء.

وهذه شبهة اخرى، يحاولون بها إسقاط الحديث عن الدلالة على الأعلمية والأفضلية فالإمامة والولاية العامّة:

ففي موضع من (قرة العينين) خصّ وليّ الله الدهلوي «العلم» في حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» بعلم الباطن، زاعماً المساواة بين الامام وسائر الصحابة في علم الظاهر.

وحمل القاضى ثناء الله باني بتي حديث: «أنا دار الحكمة» و«حديث أنا مدينة العلم» كليهما على العلوم الباطنة ... إذ قال: في ذيل الآية: (**أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ**)

ما نصّه:

«وقيل: الشاهد هو علي بن أبي طالب، قال البغوي قال علي رضي الله عنه: ما من رجل من قريش إلاّ وقد نزلت فيه آية من القرآن. فقال له رجل: وأنت أيش نزل فيك؟ قال: (**وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ**).

فإن قيل: فما وجه تسمية علي بالشاهد؟ قلت: لعلّ وجه ذلك أنه أوّل من أسلم من الناس، فهو أول من شهد بصدق النبي صلّى الله عليه وسلّم. والأوجه عندي أن يقال: إن علياً رضي الله عنه كان قطب كمالات الولاية، وسائر الأولياء حتى الصحابة رضوان الله عليهم أتباع له في مقام الولاية، وأفضلية الخلفاء الثلاثة عليه بوجه آخر. كذا حقّق المجدّد رضي الله عنه في مكتوب من أواخر مكتوباته.

فكان معنى الآية: (**أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّهِ**) يعني حجة وإضحة وبرهان قاطع وهو محمد صلّى الله عليه وسلّم، فإنه كان على حجة واضحة من ربّه وبرهان قاطع يفيد العلم بالقطع أنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك معجزاته وأفضلها القرآن وعلومه المستندة إلى الوحي **وَيَتْلُوهُ** أي يتبعه **شاهِدٌ** من الله على صدقه، وهو علي ومن شاكله من الأولياء، فإن كرامات الأولياء معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعلومهم المستندة إلى الإلهام والكشف ظلال لعلوم النبي صلّى الله عليه وسلّم المستندة إلى الوحي، فتلك الكرامات والعلوم شاهدة على صدق النبي صلّى الله عليه وسلّم.

فقوله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. رواه الترمذي بسند صحيح عن علي. وأنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. رواه ابن عدي في الكامل والعقيلي في الضعفاء والطبراني والحاكم عن ابن عباس، وابن عدي والحاكم عن جابر، إشارة إلى علوم الأولياء دون علوم الفقهاء، فإن أخذ علوم الفقهاء لم ينحصر على علي رضي الله عنه، بل قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

والجواب

وهذا الكلام ـ وإن اشتمل على بعض المطالب الصادقة ـ مخدوش من وجوه:

إنّه وإن كان اعترافه بكون أمير المؤمنين عليه السلام «قطب كمالات الولاية، وسائر الأولياء حتى الصّحابة أتباع له في مقام الولاية» دليلا على أفضلية الإمام من الصّحابة من وجه، لكنّ حديث «أنا مدينة العلم» ونظائره يدلّ على أفضليّته وأعلميّته منهم من جميع الجهات والوجوه... وحمله حديث: «أنا دار الحكمة» على أنه «إشارة إلى علوم

الأولياء دون علوم الفقهاء» باطل قطعاً، لأن «الحكمة» هو «العلم النافع» ... ولا ريب في أنّ علوم الفقهاء من العلم النّافع.

أمّا أنّ «الحكمة» هو «العلم النافع»، فقد صرّح به عبد العزيز (الدهلوي) في جواب سؤال عن ثبوت «العصمة» و«الحكمة» و«الوجاهة» و«القطبيّة» للأئمة الاثني عشر عليهم السلام... ونصّ على أنه المراد من حديث «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

... ولمزيد الفائدة نذكر كلمات بعض العلماء حول معنى حديث: «أنا دار الحكمة» لكي يتضّح لك بطلان الحمل المذكور على لسان علماء أهل السنّة:

قال الكنجي الشافعي: «الباب الحادي والعشرون، فيما خصّ الله تعالى علياً رضي الله عنه بالحكمة. قال الله تعالى: (**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**).

أخبرنا عبد اللطيف بن محمد ببغداد، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الفضل بن أحمد، حدّثنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، حدّثنا الحسن بن سفيان، حدّثنا عبد الحميد بن بحر، حدّثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

قلت: هذا حديث حسن عال. وقد فسّرت الحكمة بالسنّة لقوله عزّ وجلّ: (**وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ**) الآية.

يدل على صحة هذا التأويل ما قد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أوتيت الكتاب ومثله معه. أراد بالكتاب القرآن. ومثله معه ما علّمه الله تعالى من الحكمة. وبيّن له من الأمر والنهي والحلال والحرام. فالحكمة هي السنّة، فلهذا قال: أنا دار الحكمة وعلي بابها».[٨٤]

وقال المناوي: «أنا دار الحكمة. وفي رواية: أنا مدينة الحكمة، وعلي بابها.

أي علي بن أبي طالب هو الباب الذي يدخل منه إلى الحكمة. وناهيك بهذه المرتبة ما أسناها وهذه المنقبة ما أعلاها. ومن زعم أنّ المراد بقوله: وعلي بابها أنه مرتفع من العلوّ وهو الارتفاع، فقد تمحّل لغرضه الفاسد بما لا يجديه ولا يسمنه ولا يغنيه.

أخرج أبو نعيم عن ترجمان القرآن مرفوعاً: ما أنزل الله عزّ وجلّ يا **يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا** إلاّ وعلي رأسها وأميرها.

وأخرج عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وسلّم، فسئل عن علي كرّم الله وجهه فقال: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً.

وعنه أيضاً: أنزل القرآن على سبعة أحرف ما منها حرف إلاّ له ظهر وبطن، وأما عليّ فعنده منه علم الظاهر والباطن.

وأخرج أيضاً: علي سيد المسلمين وإمام المتقين.

---

(٨٤) كفاية الطّالب: ١١٨.

وأخرج أيضاً: أنا سيّد ولد آدم وعلي سيد العرب.

وأخرج أيضاً: علي راية الهدى.

وأخرج أيضاً: يا علي، إنّ الله أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعي، وأنزلت عليّ هذه الآية (**وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ**). أخرج أيضاً عن ابن عباس: كنّا نتحدّث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عهد إلى علي كرّم الله وجهه سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره.

والأخبار في هذا الباب لا تكاد تحصى».[٨٥]

وقال ابن حجر المكي: «ومما يدلّ على أنّ الله سبحانه اختص عليّاً من العلوم بما تقصر عنه العبارات: قوله صلّى الله عليه وسلّم: أقضاكم علي. وهو حديث صحيح لا نزاع فيه، وقوله: أنا دار الحكمة، ورواية: أنا مدينة العلم وعلي بابها».[٨٦]

ثمّ إنّ ممّا يردّ الحمل على العلوم الباطنة:

حديث «أنا مدينة الفقه وعلي بابها»

فكما ورد الحديثان عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد ورد هذا الحديث الشريف عنه أيضاً، وأخرجه وأثبته جماعة من العلماء الأعيان... كما علمت سابقاً... وكما لا مجال للتأويل والحمل فيه، كذلك لامجال له في الحديثين، فظهر بطلان ما ذكره القاضي الهندي بهذا البيان أيضا، فليمت الجاحد المنكر لذلك غيظاً.

والحاصل: إنّ جميع هذه الأحاديث تدلّ على اختصاص العلوم مطلقاً وانحصارها بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام... وقد ذكرنا الوجوه الدالّة على ذلك في جواب كلمات العاصمي والقاري وغيرهما، وذكرنا هناك كلمات الأعلام.

وأمّا ما ذكره القاري: «أللهم إلاّ أن يختص بباب القضاء، فإنه ورد في شأنه أنه أقضاكم، كما أنه جاء في حق أبيّ أنه أقرؤكم، وفي حقّ زيد ابن ثابت أنه أفرضكم، وفي حق معاذ بن جبل: أنه أعلمكم بالحلال والحرام، فدعوى باطلة كذلك، لوجوه:

الأوّل: إنّ دعوى كون «معاذ بن جبل» باباً من أبواب مدينة العلم من غير نصّ صريح في ذلك عن مدينة العلم صلّى الله عليه وآله وسلّم تجاسر قبيح وتخرّص فضيح.

الثاني: استشهاده بما نسب إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» يبطله كون هذا من الحديث الطويل الثابت وضعه واختلاقه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الثالث: إن كون معاذ بن جبل باباً من أبواب المدينة، إنّما يثبت في حال اختصاص علم الحلال والحرام به دون غيره من الأصحاب، أو إثبات كونه مبرّزاً من بينهم في هذا العلم، وكلا الأمرين غير ثابت، فإن كونه مخصوصاً بهذا العلم دونهم ـ بأن يكون هو العالم بهذا العلم وليس لغيره منهم نصيب منه ـ ظاهر البطلان جدّاً، ولا يلتزم به أحد من أهل السنّة أبداً. وأمّا الأمر الثاني فغير ثابت كذلك، لتنصيص العلماء المحققين على أنه «يصير كذلك بعد انقراض عظماء

---

(٨٥) فيض القدير ٤٦/٣.

(٨٦) المنح المكيّة: ٣٠٣.

الصحابة وأكابرهم» قال المناوي (فيض القدير): «يعني إنه يصير كذلك بعد انقراض عظماء الصحابة وأكابرهم، وإلاّ فأبو بكر وعمر وعلي أعلم منه بالحلال والحرام...» وفي (التيسير): «يعني: سيصير أعلمهم بعد انقراض أكابر الصحابة» وقال العزيزي في (السراج المنير) «يعني سيصير أعلمهم بعد انقراض أكابر الصحابة».

الرابع: إنه مع قطع النظر عمّا تقدّم، فهناك في أمهات مصادر أهل السّنة شواهد على جهل معاذ بالحلال والحرام، ومعها تبطل الدعوى من أصلها ... ومن ذلك ما رواه ابن سعد بترجمته حيث قال:

«أخبرنا عبيد الله بن موسى، أنا شيبان، عن الأعمش، عن شقيق قال:

استعمل النبي صلّى الله عليه وسلّم معاذا على اليمن، فتوفي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم واستخلف أبو بكر وهو عليها وكان عمر عامئذ على الحج، فجاء معاذ إلى مكة ومعه رقيق ووصفاء على حدة. فقال له عمر: يا أبا عبد الرحمن لمن هؤلاء الوصفاء؟ قال: هم لي. قال: من أين هم لك؟ قال: أهدوا لي. قال: أطعني وأرسل بهم إلى أبي بكر، فإن طيّبهم لك فهم لك. قال: ما كنت لأطيعك في هذا، شيء أهدي لي أرسل بهم إلى أبي بكر؟! قال: فبات ليلة ثم أصبح فقال:

يا ابن الخطاب ما أراني إلاّ مطيعك، إني رأيت اللّيلة في المنام كأنّي أجرّ وأقاد ـ أو كلمة تشبهها ـ إلى النار وأنت آخذ بحجزتي! فانطلق بي وبهم إلى أبي بكر. فقال: أنت أحق بهم. فقال أبو بكر: هم لك. فانطلق بهم إلى أهله فصفّوا خلفه يصلّون. فلما انصرف قال: لمن تصلّون؟

قالوا: لله تبارك وتعالى. قال: فانطلقوا فأنتم له».[٨٧]

وفيه أيضاً: «أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عيسى بن النعمان، عن معاذ بن رفاعة، عن جابر بن عبد الله قال: كان معاذ بن جبل ـ رحمه الله ـ من أحسن الناس وجهاً وأحسنه خلقاً وأسمحه كفّاً، فادّان ديناً كثيراً، فلزمه غرماؤه حتى تغيّب منهم أيّاماً في بيته، حتى استأدى غرماؤه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى معاذ يدعوه، فجاءه ومعه غرماؤه، فقالوا:

يا رسول الله خذ لنا حقّنا منه.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: رحم الله من تصدّق عليه.

قال: فتصدّق عليه ناس وأبى آخرون وقالوا: يا رسول الله، خذ لنا حقّنا منه.

فقال رسول الله: اصبر لهم يا معاذ.

قال: فخلعه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ماله فدفعه إلى غرمائه فاقتسموه بينهم، فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم.

قالوا: يا رسول الله بعه لنا.

قال لهم رسول الله: خلّوا عنه فليس لكم إليه سبيل.

فانصرف معاذ إلى بني سلمة فقال له قائل: يا أبا عبد الرحمن، لو سألت رسول الله، فقد أصبحت اليوم معدماً. قال: ما كنت لأسأله. قال: فمكث يوماً، ثم دعاه رسول الله فبعثه إلى اليمن وقال: لعلّ الله يجبرك ويؤدّي عنك دينك.

---

(٨٧) الطبقات الكبرى ٣ / ٥٨٥.

قال: فخرج معاذ إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فوافى السنة التي حجّ فيها عمر بن الخطاب ـ استعمله أبو بكر على الحج ـ فالتقيا يوم التروية بمنى، فاعتنقا وعزّى كلّ واحد منهما صاحبه برسول الله، ثم أخلدا إلى الأرض يتحدّثان، فرأى عمر عند معاذ غلماناً فقال: ما هؤلاء يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أصبتهم في وجهي هذا. فقال عمر: من أيّ وجه؟ قال: أهدوا إليّ وأكرمت بهم. فقال عمر: أذكرهم لأبي بكر. فقال معاذ: ما ذكري هذا لأبي بكر؟ ونام معاذ، فرأى في النوم كأنّه على شفير النّار وعمر آخذ بحجزته من ورائه يمنعه أن يقع في النار، ففزع معاذ فقال: هذا ما أمرني به عمر. فقدم معاذ، فذكرهم لأبي بكر، فسوّغه أبو بكر ذلك وقضى بقيّة غرمائه وقال: إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لعلّ الله يجبرك».[٨٨]

أقول: وهذه القصّة فيها دلالة واضحة على جهل معاذ بالحلال والحرام، وعدم تورّعه في جمع الأموال، وحينئذ لا يعقل أن يصدق في حقه كونه أعلم الأصحاب والأمّة بالحلال والحرام.

وعلى فرض التسليم، فإن هذا الاختصاص يفيد الأعلميّة المطلقة له عليه السلام، لأنّ كونه أقضى الأصحاب يستلزم إحاطته بأنواع العلوم الشرعيّة، مع المزيّة والأفضليّة من غيره في هذا الباب.

أمّا قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أقضاكم علي» فممّا لا ريب فيه ولا كلام، لكنّ ما ذكره في حقّ غيره موضوع وباطل سنداً ودلالة.

٥. عليّ الباب أي رفيعٌ الباب

ومنهم من ألجأته العصبيّة إلى تحريف الحديث الشريف، فذكر أنّ «علي بابها» أي: مرتفع.

والجواب:

إنه من أقبح وجوه التحريف والتّضليل، ومن جملة صنائع الخوارج والنواصب، لا يرتضيه من كان في قلبه أقل مراتب حبّ أهل البيت عليهم السّلام، فقد نصّ أبو محمد أحمد بن على العاصمي في (زين الفتى) على أنّ الغرض من هذا التأويل هو «الوقيعة في المرتضى رضوان الله عليه والحطّ عن رتبته» وفيه تخطئة لفهم الناس أجمعين من هذا الحديث الشريف، كما صرّح بذلك العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير، وتسفيه لأكابر العلماء وأئمة المحدثين، الذين ذكروا حديث مدينة العلم في جملة مناقب أميرالمؤمنين، بل لقد احتجّ به الامام ضمن احتجاجاته على أهل الشورى، كما احتجّ به ابن عباس وغيره من الصّحابة».

ثم إنه قد ورد الحديث في بعض طرقه بلفظ:

«فمن أراد بابها فليأت علياً»

قال الزرندي: «فضيلة أخرى اعترف بها الأصحاب وابتهجوا، وسلكوا طريق الوفاق وانتهجوا:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً».[٨٩]

---

(٨٨) الطبقات الكبرى ٣ / ٥٨٧.

(٨٩) نظم درر السمطين: ١١٣.

وأورده شهاب الدين أحمد عن الزّرندي.[٩٠]

وأخرج ابن عساكر فقال: «وأخبرناه أبو علي الحسن بن المظفّر، وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، وأم أبيها فاطمة بنت علي بن الحسين، قالوا: أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن علي الدجاجي، أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحربي، أنبأنا الهيثم بن خلف الدوري، أنبأنا عمر بن إسماعيل بن مجالد، أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد فليأت علياً».[٩١]

ورواه صدر الدين الحموئي بسنده عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس كذلك.[٩٢]

وعبارة الزرندي صريحة في اتفاق جميع الأصحاب واعترافهم بهذه الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، فالتأويل المذكور مخالف لفهم الصحابة وإجماعهم على هذا المعنى، وقد تقرّر عند أهل السنّة أنّ المخالف لإجماع الصحابة مصداق لقوله تعالى: (**وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيراً**)

ولسخافة هذا التأويل، اضطرّ جمع من العلماء إلى التصريح بالردّ عليه، كابن حجر المكي، فإنه قال:

«واحتجّ بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بأن «علي» اسم فاعل من العلو، أي «عال بابها»، فلا ينال لكلّ أحد. وهو بالسفساف أشبه، لا سيّما وفي رواية رواها ابن عبد البر في استيعابه: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه، إذ مع تحديق النظر في هذه الرواية لايبقى تردد في بطلان ذلك الرأي، فاستفده بهذا».[٩٣]

وقال المناوي: «ومن زعم أنّ المراد بقوله «وعلي بابها» إنه مرتفع من العلوّ، فقد تمحّل لغرضه الفاسد بما لا يجديه ولا يسمنه ولا يغنيه».[٩٤]

٦. كونه باب العلم بالنسبة الى غير الصحابة

ومنهم من اضطرّ إلى الإعتراف بدلالة الحديث، إلاّ أنه خصّه بغير الصّحابة فقال: والمراد من الحديث المذكور ـ والله أعلم ـ بيان أن علياً باب العلوم بالنسبة إلى جماعة لم يدركوا شرف الصحبة. وهذا مبني على أمر وهو: إن أعلم الصحابة هم الخلفاء الراشدون، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه مقيّداً بأمر الخلافة بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم مدة حياته، ثم عمر رضي الله عنه كذلك، ثم عثمان كذلك رضي الله عنه، وقد كان علي رضي الله عنه في أيام خلافتهم مشغولا بالإفادة والإفاضة، فالذين لم يدركوا شرف الصحبة أتوا اليه وأخذوا منه رضي الله عنه.

والجواب:

---

(٩٠) توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل ـ مخطوط.

(٩١) تاريخ دمشق.

(٩٢) فرائد السمطين.

(٩٣) المنح المكية: ٣٠٤.

(٩٤) فيض القدير ٣ / ٤٦.

إنه تخصيص بلا مخصّص، فهو تخرّص باطلٌ، ودعوى أعلميّة الخلفاء، تقدّم الجواب عنها فلا نعيد.

٧. شبهات ابن تيمية

وقال ابن تيميّة:

وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها، أضعف وأوهى، ولهذا إنّما يعدّ في الموضوعات، وإن رواه الترمذي، وذكره ابن الجوزي وبيّن أن سائر طرقه موضوعة.

والكذب يعرف من نفس متنه، فإنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا كان مدينة العلم، ولم يكن لها إلاّ باب واحد، ولم يبلّغ عنه العلم إلاّ واحد فسد أمر الإسلام، ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلّغ عنه العلم إلاّ واحدا، بل يجب أن يكون المبلّغون أهل التواتر، الذين يحصل العلم بخبر هم للغائب، وخبر الواحد لا يفيد العلم إلاّ بقرائن، وتلك قد تكون منتفية أو خفيّة عن أكثر الناس، فلا يحصل لهم العلم بالقرآن والسنن المتواترة.

وإذا قالوا: ذلك الواحد معصوم يحصل العلم بخبره.

قيل لهم: فلا بدّ من العلم بعصمته أوّلاً، وعصمته لا تثبت بمجرّد خبره قبل أن تعلم عصمته فإنه دور، ولا تثبت بالإجماع فإنه لا إجماع فيها، وعند الإمامية إنما يكون الإجماع حجة لأن فيهم الإمام المعصوم، فيعود الأمر إلى إثبات عصمته بمجرد دعواه، فعلم أن عصمته لو كانت حقّاً لا بدّ أن تعلم بطريق آخر غير خبره، فلو لم يكن لمدينة العلم باب إلاّ هو لم يثبت لا عصمته ولا غير ذلك من أمور الدين.

فعلم أنّ هذا الحديث إنما افتراه زنديق جاهل ظنّه مدحاً، وهو يطرق الزنادقة إلى القدح في دين الإسلام، إذ لم يبلّغه إلاّ واحد.

ثم إن هذا خلاف المعلوم بالتواتر، فإن جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير علي:

أما أهل المدينة ومكة، فالأمر فيهما [فيهم] ظاهر، وكذلك الشام والبصرة، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن عليّ إلاّ شيئاً قليلا، وإنما كان غالب علمه في الكوفة، ومع هذا، فأهل الكوفة كانوا تعلّموا القرآن والسنّة قبل أن يتولّى عثمان فضلا عن علي. وفقهاء أهل المدينة تعلّموا الدّين في خلافة عمر، وتعليم معاذ بن جبل لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من عليّ، ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر ممّا رووا عن علي، وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقّهوا على معاذ بن جبل، ولمّا قدم علي الكوفة كان شريح فيها قاضياً، وهو وعبيدة السلماني تفقّها على غيره، فانتشر علم الإسلام في المدائن قبل أن يقدم علي الكوفة».[٩٥]

والجواب:

١. بطلان دعوى ضعف الحديث

نقول: دعوى أن حديث مدينة العلم أضعف وأوهى، ولهذا إنما يعدّ في الموضوعات، إفك فضيح، لما عرفت سابقاً من صحّة هذا الحديث واستفاضته وشهرته بل وتواتره، حتى تجلّى ذلك كالشمس المنجلي عنها الغمام على رغم آناف

(٩٥) منهاج السنة ١٣٨/٤.

المنكرين الطّغام، فمن العجيب تعامي ابن تيميّة عن جميع تلك النصوص والتصريحات من كبار المحقّقين، ومشاهير نقدة الأخبار والحديث المعتمدين!!

٢. سقوط التمسّك بقدح ابن الجوزي

وأمّا تمسّك ابن تيميّة بقدح ابن الجوزي في حديث مدينة العلم، فقد تقدّم الجواب عنه بحيث يذعن كلّ منصف بصحة ما ذكرناه إذا وقف عليه، ولو تظاهر عظماء العلماء لما تمكّنوا من إنكاره وجحده، وكيف لا؟ وقد نصّ المحققون من أهل السنّة على تجاسر ابن الجوزي وتهوّره في الحكم على الأحاديث مطلقاً، وأنّ جماعة منهم ردّوا كلامه في خصوص حديث مدينة العلم.

إذن، لا يجوز الاعتماد على كلام من اشتهر بين علماء أهل السنة وحفّاظهم بهذه الصفة، وعلى هذا الأساس أعرضوا عن كلماته في الأحاديث، أو توقّفوا عن قبولها، وقد بلغ سقوط تقوّلاته في خصوص هذا الحديث إلى حدّ انبرى جماعة من أعلام المحققين للردّ عليه وبيان فساده وبطلانه، إلاّ أنّ ابن تيميّة لا يستحي من التمسّك بكلام ابن الجوزي الباطل، و«إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ونحن كما فنّدنا كلام ابن تيميّة بالنسبة إلى حديث مدينة العلم بكلام نفسه، نثبت بطلان كلام ابن الجوزي الذي تمسّك به ابن تيميّة في ردّ هذا الحديث مزيداً للإفحام والإلزام، وذلك أنّ ابن الجوزي يقول في كتابه (الموضوعات): «فمتى رأيت حديثاً خارجاً عن دواوين الإسلام، كالموطأ، ومسند أحمد، والصحيحين، وسنن أبي داود، والترمذي، ونحوها، فانظر فيه، فإن كان له نظير في الصحاح والحسان فرتّب أمره، وإن ارتبت به فرأيته يباين الأصول فتأمّل رجال إسناده، واعتبر أحوالهم من كتابنا المسمّى بالضعفاء والمتروكين، فإنك تعرف وجه القدح فيه».[٩٦]

ففي هذا الكلام اعتراف بكون (كتاب الترمذي) من دواوين الإسلام، وأنّ كلّ حديث مخرج فيه مقبول ومعتبر بلا نظر وتردّد فيه، بل فيه تصريح بأنّ ما كان خارجاً عنه وعن غيره من دواوين الإسلام، وكان له نظير في الصحاح والحسان المخرجة في هذه الدواوين يرتّب أمره بلا ارتياب... وهذا مقام جليل وشأن عظيم لكتاب الترمذي وأمثاله عندهم، وإذا كان كذلك، فلماذا يرمي ابن الجوزي حديث مدينة العلم المخرج في صحيح الترمذي مع الحكم بالحسن بالوضع؟ هذا من موارد تسرّع ابن الجوزي، ومن مصاديق التهوّر كما وصفه بذلك كبار المحقّقين المتأخرين عنه.

فاللاّزم من كلام ابن الجوزي نفسه أن يتوب عمّا قال في حديث مدينة العلم، وبذلك يزداد سقوط تمسّك ابن تيميّة بكلامه وضوحاً وظهوراً، ولله الحمد على ما أبان دحوض حجة هذا الناصب العنيد.

ثمّ إنّ قوله: «وذكره ابن الجوزي وبيّن أنّ سائر طرقه موضوعة» كذب آخر، فإنّ ابن الجوزي لم يذكر جميع طرق حديث مدينة العلم، وإنما ذكر بعض طرقه التي كان يمكنه الخدشة في أسانيدها بزعمه، مع أنّ ما قاله بالنسبة إلى تلك الطرق غير مقبول لدى المحققين، ومن هنا تعقّبوا كلماته فيها. وأمّا سائر طرقه الصحيحة المخرجة في كتب علماء

---

(٩٦) الموضوعات ٩٩/١.

الحديث المعتمدة، فلم يذكرها ابن الجوزي أصلا، فقول ابن تيميّة أنه «بيّن أنّ سائر طرقه موضوعة» إفك صريح، وكذب فضيح.

٣. قوله: «والكذب يعرف من نفس متنه»

فإن النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا كان مدينة العلم، ولم يكن لها إلاّ باب واحد، ولم يبلّغ عنه العلم إلاّ واحد، فسد أمر الإسلام».

من الخرافات الواضحة البطلان.

ومن يلاحظ ردود ابن تيميّة على الإمامية، يرى أنّ كلماته في الغالب تنتهي إلى هدم مباني دين الإسلام، وتشييد أفكار المنكرين لنبوة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلاّ أنّه ـ لفرط نفاقه وشدة شقاقه ـ يسعى في سبيل الردّ على الإمامية، غير مبال بما يترتّب على أباطيله.

إنّ هذا الذي ذكره ابن تيميّة في جحد حديث مدينة العلم يمهّد الطّريق للكفّار لأن يقولوا: إنّه إذا كان الله عالماً بشرائع الدين والأحكام التكليفية للعباد، ولم يبلّغها من جانبه في كلّ عصر إلاّ واحد، لفسد أمر الدين وبطلت الشرائع، لأن التبليغ عن الله في كلّ عصر يلزم أن يكون بواسطة عدد كثير من الأنبياء يبلغون إلى حدّ التّواتر.

وهذا النقض كاف للردّ على ما ذكره ابن تيميّة، لأنّ كلّما أجيب به عنه فهو جوابنا على كلامه الباطل.

وأيضاً: كما أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم بوحده كاف للإبلاغ عن الله عزّ وجلّ، وأنّه لثبوت حقّيّته غيرمحتاج إلى أن يشاركه في الإخبار عن الله غيره، كذلك يكفي في الإبلاغ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وجود سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام، ولا حاجة إلى أن يشاركه أحد في الإبلاغ كائناً من كان، للقطع بحقّيّة ما يبلّغه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وإنّ حديث مدينة العلم ـ بالإضافة إلى غيره من الأدلة ـ شاهد صدق على ذلك. ومن هنا جعل أهل العلم واليقين حديث مدينة العلم من أدلّة عصمة أمير المؤمنين، وقد وقع التصريح بذلك من نصوص أعاظم المخالفين.

والحاصل: كما لا يضرّ توحّد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في إبلاغه، بعد ثبوت حقّيّته، كذلك لا يضرّ توحّد الإمام في تبليغه عن النبي، بعد ثبوت حقّيّته بالأدلة الكثيرة ومنها حديث مدينة العلم.

٤. بطلان دعوى وجوب أن يكون المبلّغون أهل التواتر

وأمّا قول ابن تيمية: «ولهذا اتفق المسلمون على أنّه لا يجوز أن يكون المبلّغ عنه العلم واحدا، بل يجب أن يكون المبلّغون أهل التواتر، الذين يحصل العلم بخبرهم» فظاهر السقوط جدّاً، لمنافاته لتصريحات أئمة علم أصول الفقه وعلوم الحديث، كما لا يخفى على المتتبّع لها، فإنّ قاطبة أهل السنّة يوجبون العمل بخبر الواحد، ولم يخالف في هذا الحكم إلاّ شاذ لا يعبأ به، وإليك نص عبارة أبي الحسن البزدوي في هذا المطلب، ليتّضح بطلان دعوى ابن تيميّة بوجوه عديدة:

قال البزدوي: «باب خبر الواحد[٩٧]، وهو الفصل الثالث من القسم الأول، وهو كلّ خبر يرويه الواحد أو الاثنان فصاعداً، لا عبرة للعدد فيه، بعد أن يكون دون المشهور والمتواتر، وهذا يوجب العمل ولا يوجب العلم يقيناً عندنا، وقال بعض الناس: لا يوجب العمل، لأنه لا يوجب العلم، ولا عمل إلاّ عن علم. قال الله تعالى: (**وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**)وهذا لأن صاحب الشرع موصوف بكمال القدرة، فلا ضرورة له في التجاوز عن دليل يوجب علم اليقين، بخلاف المعاملات لأنها من ضروراتنا، وكذلك الرأي من ضروراتنا، فاستقام أن يثبت غير موجب علم اليقين. وقال بعض أهل الحديث: يوجب علم اليقين، لما ذكرنا أنه أوجب العمل، ولا عمل من غير علم، وقد ورد الآحاد في أحكام الآخرة مثل: عذاب القبر، ورؤية الله تعالى بالأبصار، ولا حظّ لذلك إلاّ العلم. قالوا: وهذا العلم يحصل كرامة من الله تعالى، فثبت على الخصوص للبعض دون البعض، كالوطء تعلّق من بعض دون بعض، ودليلنا في أنّ خبر الواحد يوجب العمل واضح، من الكتاب والسنة والإجماع والدليل المعقول.

أمّا الكتاب: قال الله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ**) وكلّ واحد إنما يخاطب بما في وسعه، ولو لم يكن خبره حجة لما أمر ببيان العلم. وقال جلّ ذكره: (**فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَة مِنْهُمْ طائِفَةٌ**) وهذا في كتاب الله أكثر من أن يحصى.

وأمّا السنّة: فقد صحّ عن النبي عليه السلام قبوله خبر الواحد، مثل خبر بريرة في الهدية، وخبر سلمان في الهدية والصدقة، وذلك لا يحصى عدده ومشهور عنه أنّه بعث الأفراد إلى الآفاق، مثل علي

ومعاذ وعتاب بن أسيد ودحية وغيرهم رضي الله عنهم، وهذا أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يخفى. كذلك أصحابه رضي الله عنهم عملوا بالآحاد وحاجّوا بها، وقد ذكر محمد رحمه الله في هذا غيرحديث في كتاب الاستحسان، واقتصرنا على هذه الجملة لوضوحها واستفاضتها.

وأجمعت الأمة على قبول أخبار الآحاد من الوكلاء والرسل والمضاربين وغيرهم.

وأما المعقول، فلأن الخبر يصير حجة بصفة الصدق، والخبر يحتمل الصدق والكذب، وبالعدالة بعد أهلية الأخبار يترجّح الصدق، وبالفسق الكذب، فوجب العمل برجحان الصّدق ليصير حجة للعمل، ويعتبر احتمال السهو والكذب لسقوط علم اليقين، وهذا لأن العمل صحيح من غير علم اليقين، ألا ترى أنّ العمل بالقياس صحيح بغالب الرأي، وعمل الحكام بالبيّنات صحيح بلا يقين، فكذلك هذا الخبر من العدل يفيد علما بغالب الرأي، وذلك كاف للعمل، وهذا ضرب علم فيه اضطراب، فكان دون علم الطمأنينة».[٩٨]

ولقد أكّد هذا المعنى وأوضح دلالة الأدلة عليه من الكتاب والسنة والإجماع والعقل: عبد العزيز بن أحمد البخاري في (كشف الأسرار ـ شرح أصول البزدوي) ومن أراد المزيد فليرجع إليه.[٩٩]

ولقد أكثر العلماء من الأدلة المختلفة في هذه المسألة، وبلغ القول بحجيّة خبر الواحد حدّاً من الخطورة، حتّى ألّف الكثيرون من علماء أهل السنّة في هذه المسألة مصنّفات مستقلّات، نصّ على ذلك الحافظ النووي حيث قال: «وقد

---

(٩٧) في هذه العبارة وأمثالها شيء كثير من الأدلة والوقائع التي لا يصحّحها الاماميّة، فليتنبّه.

(٩٨) الاصول بشرح البخاري ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٩٤.

(٩٩) كشف الأسرار ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٩٤.

تظاهرت دلائل النصوص الشرعيّة والحجج العقليّة، على وجوب العمل بخبر الواحد، وقد قرّر العلماء في كتب الفقه والأصول ذلك بدلائله، وأوضحوه أوضح [أبلغ] إيضاح، وصنّف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنّفات مستكثرات مستقلات في خبر الواحد ووجوب العمل به. والله أعلم».[١٠٠]

٥. قوله: «خبر الواحد لا يفيد العلم الا بقرائن»

وتلك قد تكون منتفية أو خفيّة عن أكثر الناس، فلا يحصل لهم العلم بالقرآن والسنن المتواترة» والكلام عليه في وجوه:

١) قال أحمد: خبر الواحد يفيد العلم مطلقاً

إنّ هذا الكلام ردّ على أحمد بن حنبل، القائل بإفادة خبر الواحد العلم حتى مع عدم القرينة، فقد ذكر القاضي عضد الدين الإيجى ما نصّه:

«قد اختلف في خبر الواحد العدل هل يفيد العلم أو لا؟ والمختار: إنه يفيد العلم لانضمام القرائن، وعنى به الزائدة على ما لا ينفك التعريف عنه عادة. وقال قوم: يحصل العلم به بغير قرينة أيضاً. ثم اختلفوا فقال أحمد في قول: يحصل العلم به بلا قرينة ويطرد، أي كلّما حصل خبر الواحد حصل العلم. وقال قوم: لا يطرد، أي قد يحصل العلم به، لكن ليس كلّما حصل حصل العلم به. وقال الأكثرون: لا يحصل العلم به، لا بقرينة ولا بغير قرينة».[١٠١]

وقال جلال الدين المحلّي في (شرح جمع الجوامع): «[مسألة: خبر الواحد لا يفيد العلم إلاّ بقرينة] كما في إخبار الرجل بموت ولده المشرف على الموت، مع قرينة البكاء، وإحضار الكفن والنعش. [وقال الأكثر لا يفيد مطلقاً] وقد ردّ عليه العالم الحنفي عبد العلي الملقّب ببحر العلوم حيث قال:

«وقيل: خبر الواحد العدل يفيد العلم مطلقاً، محفوفاً بالقرائن أو لا. فعن الإمام أحمد: هذا الحكم مطرد، فيكون كلّما أخبر العدل حصل العلم. وهذا بعيد عن مثله...»[١٠٢]

بل قد علمت من عبارة شرح العضد على مختصر ابن الحاجب أنّ القول بإفادة خبر الواحد للعلم مطلقاً هو قول جماعة.

٢) لا حاجة إلى القرينة بعد النصّ

لكنّ الحق الحقيق بالقبول هو: أنّه لا بدّ للمنصوب من قبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأجل الإخبار والتبليغ عنه إلى الأمّة، من حجة ـ من نص أو دليل ـ تثبت حقيّته، كي تقبل منه الأمّة ما يبلّغه إليها، ومع وجود النّص أو الدليل لا حاجة إلى احتفاف خبره بقرينة، حتى يقال بأنها: «قد تكون منتفية أو خفية عن أكثر الناس، فلا يحصل لهم

---

(١٠٠) شرح صحيح مسلم ٨٥/١ هامش إرشاد الساري.

(١٠١) شرح المختصر ٢ / ٥٥ ـ ٥٦.

(١٠٢) فواتح الرحموت ـ شرح مسلّم الثبوت ١٢١/٢ هامش المستصفى.

العلم بالقرآن والسنن المتواترة»، بل إنّ خبره يكون ـ بسبب النص عليه ـ مفيداً للعلم. وهذا المعنى ثابت فيما نحن فيه، لإفادة حديث مدينة العلم نصب علي عليه السلام لهذا المنصب، فخبره عليه السلام مفيد للعلم واليقين.

ومن هنا يظهر أنّ قياس خبره عليه الصلاة والسلام على خبر غيره من آحاد المخبرين، كقياس الماء على السّراب، وهو يخالف الحق والصواب.

٣) لماذا التخصيص بالقرآن والسنة المتواترة؟

ثم إنّ التخصيص بالقرآن والسنة لا وجه له، لأنه بناء على ما توهّمه ابن تيميّة لا يثبت بخبر هذا المخبر علم مطلقاً، سواء كان قرآناً أو سنة متواترة، أو سنة غير متواترة، فقصر نفي العلم على القرآن والسنّة المتواترة لا وجه له، بل كان مقتضى القاعدة أن يقول: «بالقرآن والسنة غير المتواترة، بل السنّة المتواترة» كما لا يخفى على البصير بأساليب الكلام.

٥. الإشارة إلى أدلّة عصمة علي عليه السلام

وأمّا قوله: «وإذا قالوا: ذلك الواحد معصوم يحصل العلم بخبره. قيل لهم: فلا بدّ من العلم بعصمته أولا» فالكلام عليه بوجوه:

الأول: كأنّ ابن تيميّة لا يعلم بأنّ مقتضى مذهب الإمامية هو القول بعصمة هذا المبلّغ المنصوب للتبليغ!!

الثاني: إنّ عصمة هذا المبلّغ الواحد ثابتة من حديث مدينة العلم كما عرفت ذلك سابقا، وقد اعترف به بعض المنصفين من أهل السنّة، فيكون حديث مدينة العلم دالاً على مبلّغية أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته معاً. فبطل قوله: «فلا بدّ من العلم بعصمته أوّلا»

الثالث: إن عصمة أمير المؤمنين عليه السلام ثابتة من آيات من الكتاب، وأحاديث كثيرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتفصيل هذا المطلب موكول إلى محلّه.

الرابع: إن نصب هذا المبلّغ من قبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو ـ عند التأمل ـ عين النصب للإمامة والخلافة، وقد ثبت في محلّه ضرورة كون الإمام معصوماً، فيكون مجرّد النصب دليل العصمة.

الخامس: لقد دلّت الآية المباركة: (**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى**) على أن جملة أفعال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هي من جانب الله عزّ وجلّ، وعلى هذا يمكن أن يقال بكون الناصب للتبليغ هو الله عزّ وجلّ نفسه، ولمّا كان هذا النصب عين النصب للإمامة والخلافة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهي لا تثبت إلاّ للمعصوم، فالنصب الإلهي للتبليغ كاشف عن اتّصاف المنصوب له بالعصمة.

وبما ذكرنا يظهر الجواب عن قوله: «وعصمته لا تثبت بمجرّد خبره، قبل أن يعلم عصمته، فإنّه دور» إذ لا توقف لثبوت عصمته على خبره، لكن يمكن إثبات عصمته بخبره أيضاً، لأن خبره ليس مجرداً بل مقرون بالمعجزات الباهرة المتواترة الموجبة للعلم بالعصمة، فلا دور كذلك.

وأمّا قوله: «ولا تثبت بالإجماع، فإنه لا إجماع فيها عند الإمامية، وإنما يكون الإجماع حجة لأن فيهم الامام المعصوم، فيعود الأمر إلى إثبات عصمته بمجرّد دعواه» فجوابه: أنه إن أراد نفي الإجماع من أصحاب الضلال فهذا لا يضرّنا أبداً، إذ لا حجّية لإجماع هؤلاء أصلا، وإن أراد نفي إجماع الامامية، فهذا إنكار للبداهة، لأن الإمامية أجمعين أكتعين قائلون بعصمة هذا الواحد المبلّغ عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ثم إنّ المراد من هذا المبلّغ هو أمير المؤمنين عليه السلام، والنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم داخل في الإجماع المتحقّق على عصمته ـ وعصمة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يرتاب فيها مؤمن، وإن كان لأهل السنة فيها كلام ـ .

وأيضاً: فإنّ الحسنين عليهما السلام داخلان في المجمعين، وعصمتهما ثابتة بالدلائل القطعية الأخرى غير الإجماع.

وأيضاً: في المجمعين سائر أئمة أهل البيت، المعصومون بالأدلة من الكتاب والسنّة. فظهر بطلان دعواه بعود الأمر إلى إثبات عصمته بمجرّد دعواه، وظهر جواز الاستدلال بالإجماع لإثبات عصمة كلّ واحد من الأئمة الأطهار، لأنه ليس من قبيل إثبات عصمة ذاك الامام بقول نفسه ليلزم الدور، وأمّا عصمة كلّهم، فقد ثبتت بالأدلة القطعيّة الأخرى غير الإجماع، كما ثبت عصمة كلّ واحد واحد منهم بها كما أشرنا، وظهر أيضاً بطلان قوله بعد ذلك:

«فعلم أنّ عصمته لو كانت حقّاً، لا بدّ أن تعلم بطريق آخر غير خبره»

لما عرفت من إمكان ثبوت عصمته بخبره، لاقترانه بما يوجب العلم واليقين، فضلا عن ثبوتها بالأدلّة والطرق الأخرى.

وإذ ظهر بطلان كلماته، فقد ظهر بطلان ما قاله كنتيجة لتلك الكلمات، وهو قوله:

«فلو لم يكن لمدينة العلم باب إلاّ هو، لم يثبت لا عصمته ولا غير ذلك من أمور الدّين»

وتحصّل: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الباب لمدينة العلم، وهو المبلّغ الوحيد عن النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإذا ثبت ذلك ثبتت عصمته وغيرذلك من امور الدين، والحمد لله رب العالمين.

٧. لازم قوله: هذا الحديث إنما افتراه زنديق!

وأمّا ما تفوّه به ابن تيميّة لشدة عناده وحقده: «فعلم أنّ هذا الحديث إنما افتراه زنديق جاهل، ظنّه مدحاً وهو يطرق الزنادقة إلى القدح في دين الإسلام، إذ لم يبلّغه إلاّ واحد» فمن الكفريّات الشنيعة، والله سبحانه وتعالى حسيبه والمنتقم منه يوم القيامة.

لقد علمت أنّ حديث مدينة العلم حديث رواه أكابر العلماء الثقات عند أهل السنّة، طبقة بعد طبقة، وجيلا بعد جيل، وفيهم من حكم بصحّته، وجعله جماعة من أجلى فضائل ومناقب النبي والوصي عليهما وآلهما الصلاة والسّلام... وقد وقفت على عبارات هؤلاء الكبار، وإفادات أولئك الأحبار، فيلزم من تقوّل ابن تيميّة هذا أنّ يكون أولئك الأئمة الكبار والمشايخ العظام:

عبد الله بن عثمان القارئ، وسفيان بن سعيد الثوري، وعبدالرزاق الصنعاني، ويحيى بن معين، وسويد بن سعيد الحدثاني شيخ مسلم، وأحمد بن حنبل، وعباد بن يعقوب الرواجني شيخ البخاري، وأبو عيسى الترمذي، والحسين بن

فهم البغدادي، وأبو بكر البزّار، ومحمد بن جرير الطبري، وأبو بكر الباغندي، وأبو العباس الأصم، وأبو الحسن القنطري، وأبو بكر الجعابي، وأبو القاسم الطبراني، وأبو بكر القفّال، وأبو الشيخ الأصبهاني، وابن السقاء الواسطي، وأبو الليث السمرقندي، ومحمد بن المظفر البغدادي، وابن شاهين البغدادي، وأبو الحسن السكري الحربي، وابن بطة العكبري.

والحاكم النيسابوري، وابن مردويه الأصبهاني، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو الحسن العطّار، وأبو الحسن الماوردي، وأبو بكر البيهقي، وابن بشران، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وأبو محمد الغندجاني، وابن المغازلي، وابو المظفر السمعاني، وأبو علي البيهقي، وشيرويه الديلمي، وعبد الكريم السمعاني، وأخطب خوارزم، وابن عساكر، وأبو الحجاج الأندلسي، ومجد الدين ابن الأثير، وعز الدين ابن الأثير، و...

أن يكون كلّ واحد من هؤلاء زنديقاً جاهلاً!! وإذا كان هؤلاء زنادقة جهالا، فهل تبقى لمذهب أهل السنة من باقية؟! بل عرفت أنّ هذا الحديث الشريف قد رواه التابعون العظام، عن صحابة النبي عليه وآله السلام، فاعترفوا به وجعلوه فضيلة لمولانا أمير المؤمنين، لا سيّما أصحاب الشورى، الذين تلقّوه بالتسليم، وقد صرّح بثبوته عبد الرحمن ابن عوف منهم تصريحاً تامّاً.

ولقد عرفت سابقا أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكتف بمجرّد قوله أنا مدينة العلم وعلي بابها، بل إنّه بذل غاية الاهتمام في إبلاغ ذلك إلى الامة، إذ قاله في يوم الحديبيّة، ماداً صوته، وآخذاً بعضد أمير المؤمنين... إلى غير ذلك من الأمور الدالّة على اهتمامه بإبلاغ هذا المعنى إلى الامّة.

وبما ذكرنا يظهر أنّ ما قاله ابن تيميّة لا يقول به إلاّ «زنديق جاهل، وهو يطرق الزنادقة إلى القدح في دين الإسلام».

من الأحاديث الدالّة على أنّ علياً مبلّغ علوم النبي

ولا يخفى على ذوي النهى أنّ هذا الذي ذكره ابن تيميّة ليس إنكاراً لحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فقط، بل يستلزم إنكار أحاديث كثيرة رواها أعلام الحفّاظ من السّابقين واللاّحقين في حق مولانا أمير المؤمنين، لابتناء كلامه على أنّ حديث مدينة العلم يدل على أنّ علياً هو المبلّغ الوحيد عن النبي، لكن المبلّغ لا يكون واحداً وإلاّ فسد أمر الإسلام، فهذا الحديث باطل.

إلاّ أنّه لا ريب لأهل الحق والإيقان في أنّه عليه السلام هو الباب الوحيد لمدينة العلم، ولا مبلّغ عن النبي سواه، وقد دلّت على ذلك الأحاديث الأخرى بالإضافة إلى حديث مدينة العلم، مثل:

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «علي باب علمي، ومبيّن لامّتي ما أرسلت به من بعدى...». وقوله في حديث طويل: «... وأنت باب علمي...». وقوله في حديث في حق علي: «عيبة علمي، وبابي الذي أوتى منه.» وقوله: «علي باب حطّة، من دخل منه كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا». وقوله: «علي بن أبي طالب باب الدّين، من دخل فيه كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا». وقوله عليه وآله الصلاة والسلام: «يا علي! أنت حجة الله، وأنت باب الله». وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «علي مني وأنا منه، ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي».

٨. انتشار العلم عن علي

ثم قال ابن تيميّة: «ثم إنّ هذا خلاف المعلوم بالتواتر، فإنّ جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غيرعلي». وهذا كلام متعصّب سفيه. لأنه:

أولاً: دعوى باطلة ظاهرة الكذب.

وثانياً: دعوى تواتره كذب آخر.

وثالثاً: يخالف إفادات أكابر علماء أهل السنة، كما ستسمع، وفيها التصريح بانتشار العلوم عن أمير المؤمنين عليه السلام، في البلاد المختلفة.

ورابعاً: لو سلّمنا بلوغ العلم إلى جميع المدائن الإسلامية من غير علي، فمن أين يثبت أنّ ما بلغها كان «العلم عن الرسول»، ومن الواضح أنّ مجرّد النسبة إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يثبت كونه منه، وإلاّ لزم تصديق كلّ من يدّعي الإبلاغ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفيه من الفساد ما لا يخفى، كيف؟ وقد كثرت الكذّابة عليه على عهده صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار».

وخامساً: سلّمنا كونه علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، لكن هذا لا يضرّنا، بل يضر الآخذين لذلك االعالم العاملين به، لأنهم أخذوه من غير باب مدينة العلم، وكلّ ما أخذ عن غير باب مدينة العلم فلا يجوز العمل به، بل إنّه من قبيل السرقة ويستتبع الحدّ الشرعي على ارتكابه، ومن هنا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً».

أقول: وهذا القدر كاف في ردّ ما ادّعاه ابن تيميّة، وجميع ما بناه على هذا الكلام، ولكن لمّا كانت عبارته مشتملة على أكاذيب أخرى، فنحن مضطرّون إلى التنبيه على مواضع كذبه بالتفصيل.

قال ابن تيميّة: «أما أهل المدينة ومكة، فالأمر فيهما [فيهم] ظاهر. وكذلك الشام والبصرة، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن علي إلاّ شيئاً قليلا».

قلت: هذه دعوى بلا دليل، على أنه من الممكن بلوغ علم الرسول إليهم عن علي عليه السلام ولكنّهم لم يرووه عنه لعداوتهم له، أو رووا ولكن سلاطين الجور وأمراء الفسق ـ الذين كانوا يمنعون من ذكر مجرّد اسمه ـ حالوا دون انتشار تلك الروايات، على أنّ قلة الرواية ـ لو سلّمنا كونها كاشفة عن قلّة الأخذ ـ لا تنافي كون الامام عليه السلام باب مدينة العلم، وإنّما تكشف عن إعراض هؤلاء عن باب مدينة العلم. وذلك عليك وعليهم، لو كنت تعقل ويعقلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

المدينة المنوّرة

ثم نقول: أما المدينة المنوّرة، فقد قضى عليه الصّلاة والسلام فيها الشطر الأعظم من حياته المباركة، وكان الرجوع إليه فيها في جميع المشكلات، لمن تصدّى أمر الخلافة وغيرهم من الأصحاب، وهذا مما لا ريب فيه لأحد ولا نزاع، بل اعترف وأقرّ به جمع من العلماء الأعيان:

قال النووي: «وسؤال كبار الصحابة له، ورجوعهم إلى فتاواه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات، مشهور».[١٠٣]

وقال ابن روزبهان: «رجوع الصّحابة إليه في الفتوى غير بعيد، لأنه كان من مفتي الصحابة، والرجوع إلى المفتي من شأن المستفتين، وإن رجوع عمر إليه كرجوع الأئمة وولاة العدل إلى علماء الأمة».[١٠٤]

مكّة المكرّمة

وأمّا مكّة المكرّمة، فقد عاش فيها عليه الصلاة والسلام منذ الولادة حتى الهجرة، وقد أتاها بعد الاستيطان في المدينة المنوّرة مرّات عديدة، فكيف يقال بعدم بلوغ العلم عنه إلى أهل مكة؟

على أنّ تلميذه الخاص به «عبد الله بن عباس» أقام في مكة زمناً طويلاً يعلّمهم القرآن وينشر العلم، قال الذهبي بترجمة ابن عباس: «الأعمش، عن أبي وائل قال: استعمل علي ابن عباس على الحج، فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا. ثم قرأ عليهم سورة النّور، فجعل يفسّرها».[١٠٥]

وقال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر حدّثني واقد بن أبي ياسر عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه عن عائشة: إنها نظرت إلى ابن عباس ـ ومعه الخلق ليالي الحج، وهو يسئل عن المناسك ـ فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك».[١٠٦]

الشام

وأما أهل الشام، فأعلمهم وأفقههم أبو الدرداء، وهو أخذ من عبد الله بن مسعود، وابن مسعود من تلامذة أمير المؤمنين عليه السلام، قال الذهبي بترجمة أبي الدرداء: «وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم».[١٠٧]

وقال الموفّق بن أحمد المكي: «عن أبي الدرداء رضي الله عنه: العلماء ثلاثة، رجل بالشام ـ يعني نفسه ـ، ورجل بالكوفة ـ يعني عبد الله ابن مسعود ـ، ورجل بالمدينة ـ يعني علياً. فالذي بالشام يسأل الذي بالكوفة، والذي بالكوفة يسأل الذين بالمدينة، والذي بالمدينة لا يسأل أحداً».[١٠٨]

الكوفة

---

(١٠٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٦.

(١٠٤) إبطال الباطل لابن روزبهان الشيرازي ـ مخطوط.

(١٠٥) تذكرة الحفاظ ٢٤/١.

(١٠٦) الطبقات الكبرى ٣٦٩/٢.

(١٠٧) تذكرة الحفّاظ ٢٤/١.

(١٠٨) مناقب علي: ٥٥.

وأمّا قول ابن تيميّة: «وإنّما كان غالب علمه بالكوفة» فيردّه: أنّ علم الامام عليه السلام ـ وهو بعينه علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كان في الكثرة والغزارة بحيث لو أخذ منه أهل العالم كلّهم أجمعون لوسعهم من غير أن تنفد علومه.

وإن أراد ابن تيميّة أنّ غالب ما ظهر من علومه كان بالكوفة، فيردّه: إن غالب علمه كان بالمدينة لا بالكوفة، فإن رجوع الشيوخ الثّلاثة وغيرهم من الأصحاب إليه في المعضلات والمشكلات كان بالمدينة، وأمّا في الكوفة فلم يتفرّغ للتعليم والإرشاد، لاشتغاله عليه السلام فيها غالباً بما يتعلّق بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

اليمن

وأمّا قوله: «وتعليم معاذ بن جبل لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من علي، ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما رووا عن علي». فيشتمل على دعاوى عديدة باطلة:

١. تعليم معاذ بن جبل لأهل اليمن.

٢. مقام معاذ بن جبل في أهل اليمن.

٣. إن تعليم معاذ بن جبل لأهل اليمن أكثر من تعليم علي عليه السلام.

٤. إن مقام معاذ فيهم أكثر من مقام علي عليه السلام.

٥. رواية أهل اليمن عن معاذ.

٦. إنّ ما رووه عن معاذ أكثر ممّا رووا عن علي عليه السلام.

وليس لابن تيميّة أيّ دليل أو شاهد لشيء من هذه الدعاوى، فذكر هذه الأمور في مقابلة الامامية ليس إلاّ سفاهة ورقاعة، بل إنّ كثيراً منها لا يقبل الإثبات على ضوء كلمات أهل السنة ورواياتهم أيضاً، وتفصيل ذلك هو:

أنّ الأصل في هذا المطلب بعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أمير المؤمنين عليه السلام ومعاذ بن جبل إلى اليمن، لكن بعث الامام متّفق عليه بين الفريقين. أمّا بعث معاذ فممّا رواه أهل السّنة خاصة، ولا يجوز لهم إلزام الشيعة به، ولو سلّمنا ذلك لم يكن فيه نفع لابن تيميّة، لعدم الريب في أنّ بعث الامام عليه السلام كان للتعليم والإرشاد، وأنّ بعث معاذ بن جبل كان لأجل جبر حالته الدنيويّة كما دريت ممّا ذكرناه سابقاً في جواب كلام العاصمي. وأما ما ذكره بعض أهل السنّة من أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث معاذاً إلى اليمن للقضاء فباطل محض، وافتعال صرف، لم يرد به حديث صحيح، بل الأصل في ذلك الحديث الذي رواه الترمذي، وقدح فيه هو وغيره من أكابر علمائهم.

وإذا كان بعث معاذ بن جبل إلى اليمن لأمر دنيوي خاص به، لم يجز القول بأنّه راح إليها للتعليم، فضلا عن القول بأنّ تعلّم أهل اليمن منه كان أكثر من تعلّمهم من علي، ولو فرض قيام معاذ ببعض التعليم مع ذلك، فلا ريب في فساد ما ألقاه إليهم، لما تقدّم سابقاً من جهل معاذ بمسائل الحلال والحرام، وحينئذ، فلو كان معاذ قد عمّر عمر نوح وأقام في أهل اليمن كلّ تلك المدّة لما أفادهم مثل نقير، فضلاً عن أن يفوق على باب مدينة العلم في تعليمهم.

ومع تسليم أنّه بعث إلى اليمن للتعليم كما يدّعي المتخرّصون من أهل السنة، فإنّ ترجيح تعليمه على تعليم الإمام عليه السلام غير جائز، لعدم الخلاف بين المسلمين في أنّه عليه السلام أفضل من معاذ بن جبل، وعلى هذا، فلو بقي معاذ في أهل اليمن عمر نوح، ولم يلبث فيهم الامام إلاّ يسيراً لرجح تعليم الامام على تعليم معاذ وكان أفضل وأشدّ تأثيراً وأكثر فائدة، وستعلم فيما بعد أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث خالد بن الوليد إليهم أولا، ولبث فيهم خالد ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجبه أحد، ثم بعث الامام عليه السلام فأسلم على يده همدان في أول يوم، وهذا أصدق شاهد على أنّ كلام الفاضل أشد تأثيراً من كلام المفضول، وإن كانت إقامته أطول ودعوته أكثر... من هنا يظهر بطلان قياس تعليم الامام عليه السلام بتعليم غيره، فضلا عن تعليم معاذ على تعليمه، ولنعم ما قال عليه السلام: «لا يقاس بآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمته عليهم أبداً».

وأمّا ما ادّعاه ابن تيميّة في قوله: «وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقّهوا على معاذ بن جبل» فكذب شنيع، لا يمكن لأحد من أولياء ابن تيميّة تصحيحه على اصول السنّية، فضلا عن طريق الإمامية، فإنّ تعلّم شريح من معاذ لم يذكره إلاّ علي بن المديني غير جازم به، بل حكاه عن قائل مجهول، ففي (الإصابة) بترجمة شريح: «وقال ابن المديني: ولي قضاء الكوفة ثلاثاً وخمسين سنة، ونزل البصرة سبع سنين، ويقال: إنه تعلم من معاذ، إذ كان باليمن»،[١٠٩] ومن الواضح أنّ هكذا أمر لا يثبت بمجرد قول من مجهول.

بل إنّ التتبّع لكتب الرجال والتراجم يفيد بعض القرائن على النفي، منها: عدم ذكر معاذ فيمن روى عنه شريح، ولو كان متفقّهاً عليه لذكر اسمه فيمن روي عنه قبل غيره قطعاً، ولا أقل من ذكره فيما بينهم. وإليك نصّ ترجمة ابن حبان لشريح: «شريح بن الحارث القاضي الكندي حليف لهم... كنيته أبو أمية، وقد قيل: أبو عبد الرحمن، كان قائفاً، وكان شاعراً، وكان قاضياً، يروي عن عمر بن الخطاب، روى عنه الشعبي، مات سنة ثمان وسبعين أو سبع وثمانين، وهو ابن مائة وعشر سنين، وقد قيل: ابن مائة وعشرين سنة، وكان قد بقي على القضاء خمساً وسبعين سنة، ما تعطّل فيه إلاّ ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير».[١١٠]

وقال النووي: «أدرك النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يلقه، وقيل: لقيه، والمشهور الأول، قال يحيى بن معين: كان في زمن النبي ولم يسمع منه. روى عن: عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعروة البارقي رضي الله عنهم».[١١١]

وقال ابن حجر: «روى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مرسلاً، وعن عمر وعلي وابن مسعود وعروة البارقي وعبد الرحمن بن أبي بكر».[١١٢]

وقال الخزرجي: «كان من أجلّة العلماء وأذكى العالم، عن: علي وابن مسعود. وعنه: الشعبي وأبو وائل».[١١٣]

---

(١٠٩) الإصابة ١٤٤/٢.

(١١٠) كتاب الثقات ٣٥٢/٤.

(١١١) تهذيب الأسماء واللغات ٢٤٣/١.

(١١٢) تهذيب التهذيب ٣٢٦/٤.

(١١٣) خلاصة تذهيب التهذيب: ١٦٥.

وعدم ذكرهم معاذاً فيمن روى عنه شريح قرينة جليّة على عدم روايته عنه، لأنه لو روى عنه ولو قليلا لذكر، لأن ابن تيميّة يرى أنّ قلّة الرواية دليل على قلّة الأخذ، فإذ لم يذكر أصلاً فإنه لم يأخذ عنه أبداً.

هذا كلّه بالنسبة إلى دعوى تفقّه شريح على معاذ.

وأما دعوى تفقّه غيره من أكابر التابعين على معاذ بن جبل، فهي دعوى عارية عن الدليل، ولم يقل بها قائل معروف ولا مجهول.

وأمّا قوله: «ولمّا قدم علي الكوفة كان شريح فيها قاضياً» فكلام لانفع له فيه أبداً، فأيّ دليل على صحّة قضاءه في الكوفة قبل ورود الامام عليه السلام، وما أكثر الذين نصبوا للقضاء وهم جهال؟ سلّمنا، لكنّه ممّن روى عن أمير المؤمنين عليه السلام كما عرفت. هذا مع أنّه كان يرجع في المعضلات الواردة عليه إلى الإمام عليه السلام وعبيدة السلماني وهو من تلامذة الامام... كما ستعرف عن قريب، فلم يكن مستغنياً عن الأخذ من الامام عليه السلام، كما لم يستغن عنه الثلاثة وأكابر الصحابة.

فقوله: «وهو وعبيدة السلماني تفقّها على غيره» مردود، لأنّ تفقّه شريح على غير الإمام عليه السلام دعوى بلا دليل، أمّا تفقّهه على معاذ ابن جبل ـ كما زعم ـ فقد عرفت عدم الدليل عليه، بل الدليل على عدمها. وأمّا تفقّهه على غير معاذ فمن هو ذلك الغير؟

وأمّا دعوى تفقّه عبيدة السلماني على غير الإمام عليه السلام، فمن أعاجيب الأكاذيب، لإجماع علماء الرجال على تفقه عبيدة السلماني على الامام وعبد الله بن مسعود، قال السمعاني: «هو من أصحاب علي وابن مسعود، حديثه مخرّج في الصحيحين... وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عبيدة السلماني كان أعور، وكان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرؤن ويفتون. وكان شريح إذا أشكل عليه الشيء قال: إن هاهنا رجلاً في بني سلمة فيه خبرة، فير سلهم إلى عبيدة، وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه، وكلّ شيء روى ابن سيرين عن عبيدة سوى رأيه فهو عن علي. ومات سنة اثنتين وسبعين أو ثلاث من الهجرة».[١١٤]

وقال النووي: «هو مشهور بصحبة علي. روى عنه: الشعبي والنخعي وأبو حصين وابن سيرين وآخرون، نزل الكوفة، وورد المدينة، وحضر مع علي قتال الخوارج، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين قرؤن ويفتون، وكان شريح إذا أشكل عليه شيء أرسل إلى عبيدة...».[١١٥]

وقال المزي: «قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، أسلم قبل وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بسنتين، ولم ير النبي، وكان من أصحاب علي وابن مسعود، وكان أعور، وكان شريح إذا أشكل عليه الشيء بعث إليه، وكلّ شيء روى ابن سيرين عن عبيدة فهو عن علي سوى رأيه».[١١٦]

وقال ابن حجر: «وكان من أصحاب علي وعبد الله»[١١٧]

---

(١١٤) الأنساب: ٢٧٧/٣.

(١١٥) تهذيب الأسماء واللغات ٣١٧/١.

(١١٦) تهذيب الكمال ٢٦٦/١٩.

(١١٧) تهذيب التهذيب ٨٤/٧.

وقال أيضاً: «وعدّه علي بن المديني في الفقهاء من أصحاب ابن مسعود».[١١٨]

فظهر أن ما ذكره من تفقّه عبيدة السلماني على غير الامام عليه السلام. إفك محض وبهت بحت، لأن تفقّهه ليس إلاّ عليه إمّا مباشرة وإمّا بواسطة تلميذه عبد الله بن مسعود، لكنّ التفقّه على الامام عليه السلام والأخذ عنه، لا يلازم التشيّع والمتابعة، كما ذكرنا، ومن هنا نرى أنّ هذين الرجلين لم يكونا على مذهب الإمام عليه السلام، بل كان بعض فتاويهما في الكوفة على خلاف رأيه، إلاّ أنّ الامام تركهما على ذلك خشية الفتنة والإختلاف، ففي البخاري: «حدثنا علي بن الجعد، نا شعبة بن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة عن علي قال: أقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي».[١١٩]

وقد أوضح ذلك شرّاح البخاري، قال ابن حجر: «قوله: عن علي قال: أقضوا كما في رواية الكشميهني على ما كنتم تقضون. قيل: وفي رواية حماد بن زيد عن أيوب: أنّ ذلك بسبب قول علي في بيع أم الولد، وأنّه كان يرى هو وعمر أنهنّ لا يبعن، وأنّه رجع عن ذلك فرأى أن يبعن. قال عبيدة: فقلت له: رأيك ورأي عمر في الجماعة أحبّ إليّ من رأيك وحدك في الفرقة، فقال علي ما قال. قلت: وقد وقفت على رواية حماد بن زيد، أخرجها ابن المنذر عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم عنه، وعنده قال لي عبيدة: بعث إليّ علي وإلى شريح فقال: إني أبغض الإخلتفا، فاقضوا كما كنتم تقضون.

فذكره إلى قوله أصحابي، قال: فقتل علي قبل أن يكون جماعة.

قوله: فإني أكره الإختلاف، أي الذي يؤدّي ألى النزاع، قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر. وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدّي إلى النزاع والفتنة، ويؤيّده قوله بعد ذلك: حتى يكون الناس جماعة...».[١٢٠]

فاندفع ما توخّاه ابن تيميّة بقوله: «فانتشر علم الإسلام في المدائن قبل أن يقدم علي الكوفة» لما عرفت من أنّ علم الإسلام انتشر في المدائن عن طريق باب مدينة العلم فقط دون غيره، وأنّه لا سبيل إلى علم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ من هذا الباب، فمن أتاه فقد امتثل أمر النبي، ومن لم يأته هلك وخسر، وكلّ ما خرج من هذا الباب فهو علم ونور وهداية، وكلّ ما كان من غيره فهو جهل وظلمة وضلالة.

ولقد دمّرنا بفضل الله على تزويقات ابن تيميّة وغيره تدميراً، وتبّرنا قاطبة تلفيقاتهم تتبيراً، ولم نترك من كلماتهم الزائغة نقيراً ولا قطميراً، ولله الحمد على ذلك حمداً كثيراً كثيراً.

---

(١١٨) تهذيب التهذيب ٨٥/٧.

(١١٩) صحيح البخاري ٨١/٥ ـ فضائل أصحاب النبي مناقب علي.

(١٢٠) فتح الباري ٥٩/٧ ، وانظر: عمدة القاري ٢١٨/١٦، وإرشاد الساري ١١٨/٦.

كلمة المركز
الفائدة ١: رواة الحديث من الصحابة
الفائدة ٢: رواة الحديث من التابعين
الفائده ٣: في أسماء رواة الحديث من الحفاظ والمحدثين
الفائدة ٤: في ذكر من نصَّ على صحة الحديث
الفائدة ٥: في ذكر من نص على حسن الحديث
الفائدة ٦: في ذكر من أرسله ارسال المسلم
الفائدة ٧: في ذكر من وصف أميرالمؤمنين بباب مدينة العلم
الفائدة ٨: في ذكر من نظم هذه المأثرة في أشعاره
الفائدة ٩: في شهرته وتواتره على ضوء كلمات أهل السنة
الفائدة ١٠: في زيادة توضيح لثبوت الحديث
(١) دلالته على الأعلمية
اعترافهم بدلالة الحديث على الأعلميّة
(٢) دلالته على العصمة
(٣) دلالته على أن الامام واسطة العلوم
(٤) دلالته على ان الامام حافظ العلم
(٥) دلالته على وجوب الرجوع اليه
(٦) دلالته على أن الإمام أول من يقاتل أهل البغي
(٧) الحديث في رواية جابر
(٨) الحديث في خطبة الامام الحسن عليه السلام
(٩) رجوع الطرق الى الامام عليه السلام
(١٠) دلالة الحديث على أن الامام خاتم الأولياء
ثمّ إنّ لحديث أنا مدينة العلم شواهد كثيرة، نذكرهنا بعضها:
١. أنا دارالحكمة وعلي بابها
أحمد بن حنبل
الترمذي
أبو نعيم الاصبهانى
ابن حجر العسقلانى
٢. أنا مدينة الحكمة وعلى بابها
الخطيب البغدادى

٣. انا دارالعلم وعلي بابها

٤. أنا مدينة الجنة وعلي بابها

قال ابن المغازلي:

٥. أنا مدينة الفقه وعلي بابها

سبط ابن الجوزي

٦. أنا المدينة وأنت الباب ولاتؤتى المدينة إلا من بابها

٧. فهو باب مدينة علمي

٨. علي منّي وأنا من علي، فهو باب علمي وصيي

٩. علي باب علمي ومبيّن لأُمتي ما أُرسلت به

١٠. وأنت باب علمى

١١. عيبة علمى وبابي الذي أُوتى منه

قال أبو نعيم الاصفهاني

١٢. وهو بابي الذي اوتى منه

١٣. علي بن أبي طالب باب حطة

١٤. علي بن أبي طالب باب الدين

١٧. علي منّي وأنا منه ولايؤدّي إلاّ أنا أو علي

١٨. فهم الباب المبتلى بهم، من اتاهم نجا ومن اباهم هوى

١٩. مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة

الفصل الرابع

في دحض المناقشات في سند الحديث

ردّ نسبة القدح إلى ابن معين

رد قدح البخاري

رد نسبة القدح الى الترمذي

رد قدح ابن الجوزى

ردّ العلماء على قدح ابن الجوزي

رد قدح ابن دقيق العيد

الكلام على رأى النووى

الكلام على رأى الذهبي

الكلام على رأى الجزري

١. كثرة أبواب المدينة

٢. عدم دلالة الحديث على الأعلمية

٣. كونه باب مدينة العلم لا يستلزم الامامة

٤. حمل الحديث على اختصاص الامام بالعلوم الباطنية والقضاء.

٥. عليّ الباب أي رفيعٌ الباب

٦. كونه باب العلم بالنسبة الى غير الصحابة

٧. شبهات ابن تيمية

من الأحاديث الدالّة على أنّ علياً مبلّغ علوم النبي